

روايات مصرية للجيب
الحادث
سافاري
31
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

اسمى (علاء عبد العظيم) .. طبيب مصرى شاب يجاهد - كما يقول الغلاف - كى يبقى حيًا ويبقى طبيبًا ..

وحدة (سافارى) هى البطل الحقيقى لهذه القصص ، و(سافارى) مصطلح غربى معناه (صيد الوحوش فى أدغال إفريقيا) وهو محرف عن لفظة (سفرية) العربية ..

لاحظت أن أكثر الأصدقاء يضيفون حرف ألف بين الراء والياء لتتحول الكلمة إلى (سافاراى) .. لا أعرف فى الحقيقة سبب هذا الخطأ ، لكنه خطأ شائع شبيه بتلك الألف الشيطانية التى يكتبها الجميع بعد (واو) ليست (واو جماعة) على غرار (أرجوا الهدوء) . ولو كنت ترغب فى معرفة النطق الغربى للفظة (سافارى) فلتتخيل أنها (صفرى) بفتح الصاد والفاء ..

وحدة (سافارى) التى نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحوش ولكنها تصطاد المرض فى القارة السوداء ، وسط اضطرابات سياسية لا تنتهى وأهال متشككين وبيئة لا ترحم ..

الوحدة دولية لكن بطلكم الفقير المعترف بالعجز والتقصير شاب مصرى عادى جدًا ، فقط وجد كثيرًا من عوامل الطرد

فى وطنه فانطلق يبحث عن فرصة فى القارة السوداء .. انطلق يبحث عن ذاته ..

هناك وجد التقدير .. وجد المغامرة .. وجد الحب .. الطبيبة الكندية الرقيقة (برنادت جونز) التى صارت زوجته .. ثم هناك الفيروسات القاتلة والقبائل المعادية والمرتزقة الذين لا يمزحون ، والعلماء المخابيل وسارقو الأعضاء ..

هناك ـ كما قلنا ـ من العسير أن تجمع بين شيئين : أن تظل حيًا وتظل طبيبًا .. لكنك تحاول .. فى كل يوم تحاول ..

هذه المحاولات هى ما أجمعه لكم وأقصه لكم فى شكل قصص .. وقصصى هى خليط عجيب من الطب والميتافيزيقا والرعب والعواطف والسياسة ! لا أعرف إن كان هناك مجنون آخر قد جرب أن يصب هذا الخليط فى كئوس ويقدمها لكم ، لكنى لم ألق هذا المجنون بعد إلا فى مرآتى ..

تعالوا نبدأ وسنفهم كل شىء ..

* * *

الكراس الأول

(أوراق ممزقة لهذا لم نعرف الترتيب الصحيح قط)

السبت أكتوبر 243 :

ما زلت عاجزًا عن فهم من أنا وأين أنا ..

من جديد أسجل هنا ما قالوه لى وأعتقد أنه حقيقى .. لقد أحضروا لى عدة كراسات ، وقالوا لى إن هذا قد يفيد ..

اسمى كما قالوا لى هو (هانز شيفرن) .. يقولون إننى عالم فى المناعة .. يقولون إننى أعمل فى وحدة (سافارى) هذه وإننى ألمانى .. من الغريب أن أكون عالمًا فى المناعة وأنا لا أذكر بالضبط ما معنى كلمة (مناعة) .

نعم .. أعرف الكثير عن نفسى وأذكر أشياء ..

لكن ما نسيته أكثر بكثير .. لا أستطيع التعبير بكلمات ؛ لأن المعنى مراوغ .. أنت تذكر كل شىء لكن لا تذكر شيئًا فى الوقت ذاته .. الذكريات تأتى حينما لا تطلبها ، بينما تجهد نفسك بعنف لتذكر اسم هذا الذى يكلمك ..

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

(كلينزمان) يغادر البيت وهو يرتدى معطفه .. أمسك بالصورة ..

لقد نسيت كل شىء فجأة ..

* * *

لقد قابلت الكثيرين هنا فى (سافارى) .. هناك المدير .. اسمه (موريس بارتلييه) .. اسمه (موريس بارتلييه) .. لن أنساه .. هناك طبيب أمريكى يدعى (شيلبى) .. هناك طبيب ألمانى آخر اسمه (مايزر) ..

كلهم يأتون لى فى الغرفة التى أقيم فيها ويقولون لى ألا أقلق .. كل شىء تمام .. سوف أسترد ذاكرتى بسرعة ..

لا أعرفهم لكنهم يؤكدون أننى صديق حميم لهم ..

حسن .. على أن أصدق هذا ..

الحادث ؟ لا أذكر أن هناك حادثًا .. من المنطقى أن يكون هناك واحد ، ما دام وجهى كله مغطى بالبلاستر وذلك الرباط على رأسى .. لكنى أؤكد لكم أننى لا أذكر غير رؤى تأتى لذاكرتى فى صورة مشاهد وامضة .. لحظة ثم تزول قبل أن تتبين كنهها بالضبط ..

* * *

الأحد أكتوبر 66 :

ما زلت عاجزًا عن فهم من أنا وأين أنا ..

سأسجل هنا ما قالوه لى وأعتقد أنه حقيقى ..

قال لى د. (جابرييل) مختص الأمراض العصبية الكـاميرونى وهو يفحص انعكاساتى :

ـ « هناك نوعان من فقدان الذاكرة .. فقدان ذاكرة يتعلق بـالأحداث القريبـة وآخر يتعلـق بـالأحداث البعيـدة .. مـن الواضح أن حالتك خليط من النوعين .. فأنت لا تذكر الكثير عن نفسك ، لكنك كذلك لا تذكر تفاصيل الحادث .. لم تنس كل شىء .. لاحـظ أننى أكلمـك بالفرنسية وبرغـم هـذا أنـت تفهمنى .. أنت لم تنس اللغات التى تعلمتها على الأقل .. »

ثم أشار لى وأومأ برأسه :

ـ « اكتب .. فلا أريد لهذه المحادثة أن تضيع .. »

هكذا أفتح كراستى الصغيرة وأدون ما قال ..

يستطرد الرجل :

ـ « لقد عدت من ألمانيا منذ وقت قريب حيث كنت تمضى

أيام إجازتك .. لاتنس أنك ألمانى .. أنت أخذت سيارتك الصغيرة (الستروين) وغادرت الوحدة فى ذلك اليوم .. يبدو أنك كنت تريد الذهاب إلى (أنجاوانديرى) القريبة .. لانعرف السبب الذى جعلك تختار ذلك الطريق المتعرج بين القرى القريبة ، وهو طريق غير ممهد لايقودك إلى المدينة حتمًا .. بعد هذا وجد الأهالى سيارتك مقلوبة إلى جانب الطريق وقد تحطمت بشكل مروع .. يبدو أنك حاولت تفادى سيارة مقبلة فاصطدمت بشجرة ألقت بك نحو شجرة أخرى ثم سقطت على جانب الطريق .. لا أعرف الكثير عن هواية الأشجار للعب كرة المضرب بالسيارات ، لكن من الناحية الطبية البحتة لم نجد شيئًا خطرًا .. لاتوجد تمزقات أو نزف داخلى .. فقط الكسور المعتادة وهى معجزة بالنسبة لمن رأى منظر السيارة ، لكن الأمر لم يتم من دون مضاعفات .. أنت لاتذكر شيئًا عن الحادث ومازلت برغم أن فحص المخ بالأشعة المقطعية لا يظهر مشكلة .. هل تريد رأيى ؟ أنت ستستعيد ذاكرتك لامحالة .. كلهم يفعل .. »

قال لى كذلك :

ـ « لا أرى مانعًا من أن تستعين بالصور لتتذكر .. يمكنك أن تكتب كل شىء لحظة بلحظة .. هل تذكر اسمى الآن ؟ »

كنت قد نسيته بالفعل فعدت إلى أوراقى :

- «(جابرييل) .. د. (جابرييل) .. استشارى أمراض عصبية ..»

- « جميل .. »

ثم نهض وقال لى وهو يجمع حاجياته :

- « تذكر أن هنـاك نقطـة إيجابيـة بصددك .. لست أنت فاقد الذاكرة الذى نراه فى السينما ولا نعرف عنـه شيئاً .. هنا نعرف كل شىء عنك ولدينا إجابة عن كل أسئلتك .. هنا حشد من الأصدقـاء يريـدون لـك أن تسـترجع الذاكـرة .. ولسوف يساعدونك .. »

هكذا جلست وحدى فى الغرفـة أحـاول أن أتذكر شيئاً .. أى شىء ..

أفتح درج الكومود .. ثمة مذكرات كثيرة وورقة كتب عليها .. أفتح درجاً آخر فأجد ورقة صغيرة تقـول : 312JKL789 .. ما معنى هذا ؟ على الورقة من الجهـة الأخـرى كتابـة تقـول (عند شيكو) ..

بعد قليل يدق الباب ويدخل هذان الشابان ..

هل أعرفهما ؟ لست متأكداً .. لكنهما من العرب بالتأكيد ..

هذه الملامح لاتكون إلالعربى .. ربما يقترب بعض الباكستانيين من هذه الملامح لكنه لا .. مستحيل .. أنا أعرف العربى حيثما كان .. كما ترون هناك أشياء كثيرة لم أنسها ..

الأول هو ـ كما يخبرنى ـ (بسام بو غطاس) .. شاب تونسى ..

الثانى هو ـ كما قال لى ـ (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى ..

سيكون من الأسهل أن أستخدم اسمى (بوغطاس) و(عظيم) .. هذا أقرب لفهمى برغم أن الشاب الثانى قال لى إن المعنى يختلف كلية بالنسبة للفهم العربى ..

الشاب (عظيم) مهذب لكنه عصبى كثير الحركة لا يكف عن العبث فى لحيته ، ورجله تهتز من تحت المقعد حيث جلس كأنها موصلة بقطب كهربائى .. الشاب (بوغطاس) أقرب للهدوء واللطف .. لكن نظراتهما صادقة .. هذان الشابان يحباننى حقًا .. لا أذكر ماذا كانت علاقتى بهما يومًا ما لكنى ـ وهذا واضح ـ كنت لطيفًا ..

قال (عظيم) :

ـ « سوف تعود ذاكرتك يا دكتور (شيفرن) .. ثق بهذا ..

لماذا ؟ لأن كل هذا العلم لن يذهب هباء .. يجب أن ينتقل لأحد آخر .. »

فنظر له الشاب (بوغطاس) لائمًا ، وقال لى :

- « لا يعنينا العلم قدر ما تعنينا سلامتك أنت .. »

أضاف (عظيم) :

- « نعم .. وعلمك كذلك ! »

يقول لى الشاب (عظيم) وهو يخرج مجموعة من الأوراق :

- « حينما عملت فى مختبرك طلبت منى - على سبيل الواجب المنزلى - أن أعد لك دراسة عن (جزيئات الالتصاق ICAM) ولم أعطها إياك قط بعد إنهائها .. لقد أحضرتها معى كى تعيد قراءتها .. أعتقد أنك ستجد فيها ما ينعش ذاكرتك .. »

أمسكت بالأوراق ورحت أراجعها .. ثمة تعليقات على الهوامش تتكلم عن أشياء لا أعرفها أبدًا .. هذه ألغاز ..

قلت فى عدم فهم :

- « من كتب هذه التعليقات ؟ »

قال فى مزيج من خجل وتأثر :

ـ « أنت يا سيدى .. لقد قرأت نسخة العمل الأولى .. »

قلت وأنا أتحسس رأسى المضمد :

ـ « أيها الشاب .. أنا لا أذكر البتة حرفًا عن هذه الـ ... الـ ... »

ـ « الـ ICAM يا سيدى .. جزيئات الالتصاق .. سوف تتذكر كل شىء .. أنا لم أكن أعرف عنها حرفًا قبل لقائك لكنى الآن أعرف الكثير عن الموضوع .. »

وفجأة فعل شيئًا لم أتوقعه من قبل ولم يحدث معى قط .. لقد مال على رأسى وطبع قبلة على جبهتى مما جعلنى أجفل ..

قال لى باسمًا هو ينهض :

ـ « معذرة .. هذه عادتنا معشر العرب مع الآباء .. ثق أننى و(بسلم) لن نتركك وحدك إلا إذا طلبت هذا بلغة واضحة .. »

ثم انصرفا .. شابان لطيفان هما .. لكن .. ماذا كان اسماهما ؟

عدت للورقة التى دونت فيها الاسمين ، ثم رحت أدون تفاصيل هذه المحادثة ..

* * *

الأربعاء أكتوبر 90 :

حينما يحدث الاصطدام تقفز عجلة القيادة إلى صدرك بسرعة لا تصدق طالبة تهشيم قفصك الصدرى .. عظمة القص بالذات هى ما تبغيه .. لو لم تكن السيارة مزودة بوسادة هوائية للأمان - كما هو الحال مع سيارتى الرخيصة كما قالوا - فإن فرصة ألا تتهشم ضلوعك شبه معدومة ..

أصحو من النوم مذعورًا .. هذه المشاهد تتكرر بلا انقطاع كلما نمت .. وهى دليلى الوحيد على أن هناك حادثًا لكن فيما عدا ذلك لا أذكر حرفًا على الإطلاق ..

يجب أن أراجع ما كتبته فى هذه المذكرات ..

اسمى (هانز شيفرن) .. ألمانى . أستاذ علم مناعة .. هذه وحدة علاجية تدعى (سافارى) .. أنا فى الكاميرون .. أنا الآن فى غرفتى التى أبيت فيها فى الوحدة .. يقولون إننى متزوج لكن زوجتى فى الوطن .. لا أعرف حرفًا عن هذا ..

أفتح درج الكومود وأتأمل الأوراق ..

أفتح درجًا آخر فأجد ورقة صغيرة تقول : **312JKL789**

ما معنى هذا ؟ هل هذا خطى ؟ أعتقد هذا ..

هناك كراس صغير للخواطر .. جميل هذا .. يمكننى أن أعرف ما هو أكثر عن هذا الشخص الذى أعيش فيه .. لكن .. لا يوجد شىء مفهوم .. كل هذه الخواطر مكتوبة بلغة لا يمكن فهمها .. شفرة خاصة كنت أعرف كيف أستعملها يومًا ما ثم نسيتها ..

وتساءلت فى رعب عن حالى لو كنت قد نسيت اللغات أيضًا ..

جاءنى طبيب الأمراض العصبية .. ماذا كان اسمه ؟ راجعت الأوراق بحرص .. اسمه (جابرييل) .. جميل .. (جابرييل) .. لن أنسى هذا الاسم ..

راح يجرى على بعض تمارين الذاكرة وكنت أدرك من تعبيرات وجهه أن الأمر صعب وبلا جدوى تقريبًا ..

فى النهاية سألته بصراحة :

ـ « هل هناك أمل ؟ »

قال وهو يجمع حاجياته :

ـ « لو لم يكن هناك أمل فليترك الطبيب مهنته ويعمل فيلسوفًا تشاؤميًا أو حانوتيًا .. لكن دعنى أصارحك أننا

بحاجة إلى معجزة .. نحن نحاول تنشيط ذاكرتك بالأدوية لكن لا يوجد زر سحرى نضغط عليه .. »

قلت له محاولاً التخفيف عنه :

- « علي كل حال وضعى فريد .. أنا أولد من جديد كل يوم محاولاً تذكر من أنا وأين أنا .. هذه خبرة نادرة كما ترى .. »

ابتسم ولم يقل شيئًا .. فكر قليلاً ثم قال :

- « تذكرنى بذلك الكاتب الأمريكى الذى أصيب بالعمى ، فقال إن أروع شيء فى فقدان البصر هو أنك تقلب الكتاب المكتوب بطريقة (برايل) ويداك تحت الغطاء الدافئ ، فلا تحتاج إلى إخراج يد من حين لآخر لتقلب الصفحة ! »

ضحكت كثيرًا ودونت هذا الكلام كى لا أنساه .. طريقة غريبة لفلسفة الأمور ..

* * *

الجمعة أكتوبر 8 :

عندما تصطدم السيارة يتوقف كل شىء فيها إلا عنقك الذى يواصل رحلته إلى الأمام ، حتى اللحظة التى يتوقف فيها ، لكن الرأس يصمم على مواصلة الرحلة .. ثم يقرر التوقف هو الآخر .. يعود للوراء ليستعيد سرعة جسدك الذى توقف عن الحركة .. هذا هو تأثير السوط Whip lash الذى يجعل الرأس يندفع للأمام ثم يعود للوراء .. فى لحظات كهذه كثيراً ما يفقد كثيرون حياتهم ، عندما تتهشم فقرات العنق وتمزق النخاع المستطيل ..

أصحو من النوم مذعوراً .. من جديد أعيش هذا الكابوس .. الآن أتذكر أننى أراه كل يوم .. يجب أن أراجع مذكراتى لأعرف من أنا ..

اسمى (هانز شيفرن) .. ألمانى . أستاذ علم مناعة .. فى منتصف العمر .. هذه وحدة علاجية تدعى (سافارى) .. أنا فى الكاميرون .. أنا الآن فى غرفتى التى أبيت فيها فى الوحدة .. يقولون إننى متزوج لكن زوجتى فى الوطن .. لا أعرف حرفًا عن هذا ..

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

(كلينزمان) يطفئ سيجاره ويسوى الروب الـذى يرتديه ويقول لى :

- « أنت تسيء فهم الأمور .. الحياة ليست بهذه البساطة .. »

قلت له وأنا أطفئ السيجار الذى أعطانيه :

- « اسمع .. انا لا أستنتج .. هى قالت كل هذا .. »

من جديد قال وهو يقتادنى إلى الباب :

- « لا تصدق النساء .. إنهن لا يعرفن ما يردن حقًا ، ويقلن أشياء لم يقلها أحد .. »

(كلينزمان) ينظر لى فى ثبات ويقول :

- « افعل ما تريد وسأفعل ما أريد .. ثق أنك لن تكون الفائز .. »

قلت له وأنا ألوح بقبضتى :

- « الأيام بيننا .. أنا رجل متحضر ولن أفعل شيئًا عنيفًا ، لكنك تعرف كيف يقطعون الأعناق بلا دماء فى المحاكم .. »

* * *

حدث اليوم شىء غريب .. أكتبه قبل أن أنساه ..

كنت فى الحمام .. وجدت أن ثيابى ملوثة من الداخل .. لقد فقدت التحكم فى جهازى البولى .. هذا مريع .. لا أعتقد أننى مررت بهذا من قبل .. بحثت فى المذكرات عن تنويه مماثل فلِم أجد .. أنا فقدت التحكم فى جهازى البولى فمتى أفقد التحكم فى جهازى الهضمى ؟ أنا مذعور خائف .. ما معنى هذا الذى يحدث لى ؟ ألا يستطيع الأطباء عمل شىء لى ؟ ما جدوى الطب إذن وكل هذه المعاطف واللغة اللاتينية المتحذلقة ؟ من الغريب أننى ما زلت أفهم اللاتينية .. لكنى لا أفقه شيئًا فى الطب ..

عدت إلى غرفتى ..

فجأة شعرت بأن هناك شيئًا ما غير معتاد .. هل أغلقت الباب ؟ بالتأكيد أغلقت الباب .. الآن هو مفتوح .. فمن فعل ؟

دنوت من الباب وهنا انفتح أكثر بسرعة جنونية وتلقيت ضربة موجعة فى مقدمة رأسى ، وسقطت أرضًا .. رأسى الذى لم يلتئم بعد .. كم أن هذا مؤلم !

أنا على الأرض فاقد الرشد ، بينما هناك من يخطو فوق جسدى مبتعدًا .. إنه يركض فى الردهة ..

أصرخ وأنا أشعر بغثيان قاتل :

- « الغوث ! افعلوا شيئًا !! »

لكن الصراخ لايجدى .. هذا الطابق شبه معزول عن باقى الوحدة ..

إنه يبتعد ذلك الوغـد أنهض مترنحًا إلى الحجرة وأرقد على الفراش شـاعرًا به يعلو ويهبط .. أنا فى ألمانيا فى مدينـة الملاهى مع امرأة ما .. من هى ؟

بعد قليل أنهض وأكتب فى مفكرتى هذه الكلمات :

- « هناك من تسلل لحجرتـى وضربنـى .. لا أعرف من هو ولا ماذا كان يريد لكن من الواضح ان أحدهم فتح خزانة الثيـاب وفتش الكومـود .. ماذا كـان يريد ؟ هل كان هنـاك شىء هنـا ؟ لا أذكر .. الدرج خـال علـى كل حـال .. هنـاك أشياء تافهة .. »

بعد ساعة من الرقاد سمعت طرقات على الباب ..

هناك شاب ملتح لطيف المعشر .. أنا أعرف هذه الملامـح .. إنهـا عربيـة بالتـأكيد .. قـد تكون باكستانية لكن لا .. هـى عربية ..

قدم الشاب نفسه لى .. إن اسمه (علاء عبد العظيم) .. بدا مندهشًا لأننى أسأله عن بياناته ثم طلب منى فى أدب أن أراجع مذكراتى ..

قلت له إن متسللاً كان فى حجرتى .. بدت عليه الحيرة .. لماذا يتسلل أحدهم إلى وما الغرض ؟

سألنى فى قلق عن سبب الكدمة التى على جبهتى .. هل هناك كدمة ؟ قلت له إننى لا أذكر .. بالتأكيد حدثت لدى سقوطى فى الحمام أو شىء مماثل .. ثم نظرت إلى المذكرات فاستعدت كل شىء ، لكن لم أخبره ..

على الباب خلفه كانت امرأة شقراء فى منتصف العمر تنظر لى بلهفة كأنها تعرفنى ..

أنا لم أرها قط .. قلت له هذا فبدت عليها اللهفة .. أقسم أنها دارت دمعة سالت على خدها ، ثم هتفت :

ـ « ألا تعرف (جرترود) ؟ زوجتك ؟ »

هذه زوجتى ؟ إذن يجب أن أدون هذا .

قالت لى إنها جاهدت حتى تجد مقعدًا فى طائرة بمجرد أن عرفت بالنبأ .. قالت لى إنها قضت أسوأ أيام حياتها بانتظار اللحظة التى تصل فيها إلى .. والآن ..

- « بعد كل هذا أنت لا تعرف من أنا ؟ »

قال لها ذلك الطبيب .. (ماذا كان اسمه ؟) :

- « لاتقلقى ياسيدتى .. سوف يتذكر كل شىء .. أعتقد أن قدومك هنا كان خطوة مهمة .. سوف تساعدينه حتمًا .. »

تجلس جوارى على الفراش وتنظر فى عينى ..

مستحيل .. لا أعرفها على الإطلاق .. مستحيل أن تكون لى علاقة بهذه المرأة فى حياتى .. لا أذكر شيئًا عن ذوقى لكنى لست ميالاً إلى الشقراوات .. أعتقد هذا .. ولو طلبوا منى أن أتزوج الآن لاخترت سمراء ..

نظرت إلي درج الكومود المفتوح وقالت فى رفق :

- « سوف تتذكرنا .. »

وأخرجت صورة .. صورة تمثل امرأة شقراء متوسطة العمر وفتاة مراهقة جميلة .. هناك سهم فوق رأس المرأة بقلم (فلوماستر) أسود مع اسم (جرترود) .. والمراهقة يشير السهم إلى أنها (مارتا) .. ثم التعليق يقول : « زوجتك وابنتك » ..

نظرت لها وإلى الصورة .. لا أذكر طبعًا أى شىء .. لكنها المرأة ذاتها ..

ووضعت الصورة فى الدرج باسمة ..

قالت لى وهى تلف ذراعها حولى :

ـ « لن أتخلى عنك .. لقد سمحوا لى بالإقامة معك .. ولسوف أفعل ذلك إلى أن تتذكر من أنا .. »

كان هذا آخر شىء أريده .. لست راغبًا فى المزاحمة ولا أطيق من يشاركنى هذا المكان الضيق .. لكنها مصرة وهذا الفتى الذى نسيت اسمه يهز رأسه موافقًا ..

قلت لها فى استسلام :

ـ « ليكن .. إذا شئت ذلك .. »

سالت دمعتان من عينيها واحتضنتنى فى حنان ..

★ ★ ★

السبت أكتوبر 25 :

عندما ينفجر الإطار الأمامى للسيارة تدور حول محورها بسرعة كأنها أرجوحة ملاه انقطعت الجنازير التى تربطها .. فقدان تام للتحكم .. هذا مريع .. أنت دمية فى يد طفل خبيث يربطها بخيط ويدور بها حول نفسه ..

تصحو من النوم غارقًا فى العرق .. يا له من كابوس ..

ثمة طائر ينقر البيضة محاولاً الخروج .. حشد من الذكريات داخلى لكنى لا أعرف عنه إلا بعض تفاصيل مبهمة .. سوف يحدث شرخ فى السد وينفجر ليغرق كل شىء .. هذا آت لا محالة ..

بمناسبة انهيار السدود ....

الفراش مبلل .. من فعل هذا ؟ أنا فعلته ..

لقد فقدت التحكم .. لماذا لا ينقذنى الطب ؟

رأسى يؤلمنى .. نظرت فى المرآة لأجد كدمة على جبينى .. متى حدثت ؟ لابد أننى جرحت فى الحمام أو انزلقت .. لماذا رأسى مضمد ؟

لأراجع مذكراتى ..

اسمى (هانز شيفرن) .. ألمانى . أستاذ علم مناعة .. فى منتصف العمر .. هذه وحدة علاجية تدعى (سافارى) .. أنا فى الكاميرون .. أنا الآن فى غرفتى التى.أبيت فيها فى الوحدة .. هذا هو كل ما أعرفه عن نفسى .. هناك حادث .. نعم .. تذكرت الآن ..

من هذه المرأة التى ترقد بكامل ملابسها على الأريكة فى ركن الغرفة ؟ لا أعرفها .. هل هى معرضة ؟ لا يبدو عليها هذا .. إنها شقراء ويبدو أنها ثرية .. هناك حقيبتان يبدو أنهما مخصصتان للسفر .. يبدو أنها قادمة من سفر ما ..

ما هذه الصورة فى الدرج ؟

هذه الصورة تظهر امرأة شقراء وفتاة مراهقة .. هناك سهم فوق رأس المرأة بقلم (فلوماستر) أسود مع اسم (جرترود) .. والمراهقة يشير السهم إلى أنها (مارتا) .. ثم التعليق يقول : «زوجتك وابنتك» ..

إذن هذه النائمة هى زوجتى .. لاشك فى هذا ..

أريد أن أبدل أغطية الفراش قبل أن تصحو هى .. كيف يطلبون العاملة هنا ؟ بحثت جيدًا حتى وجدت جرسًا .. دققته وأنا أتوقع أن ينفجر شىء ما لكن لم يحدث .. فقط سمعت قرعات على الباب .. رأيت عاملة سوداء تسأل عما هنالك ، فقلت لها إننى راغب فى تبديل أغطية الفراش ..

وقلت بخجل :

ـ «سامحينى .. أعانى حالة نسيان مزمنة لكل شىء قريب .. كما أنسى أحيانًا أن ..»

- «لا عليك .. لاتنس أننى أعمل فى مستشفى .. بالمناسبة أنا أتكلم بعض الألمانية .. »

يبدو أن نوم المرأة الشقراء ثقيـل جداً ، لأنها لم تشعر بكل هذه الجلبة .. معها حقائب ؟ غريب .. لم ألحظ هذا من قبل ..

تقول لى العاملة وهى تجمع الملاءات فى سلة صغيرة :

- « اسمى (ماجدا) .. يمكنك أن تستخدم هذا الجرس لطلبى فى أى وقت .. »

آخذ ورقة من دفترى وأكتب عليها (أطلب ماجدا) .. ثم أثبتها بشريط لاصق جوار الجرس ..

تقول (ماجدا) :

- « أبى مريض وبحاجة إلى علاج .. علىّ أن أعولـه وحدى .. أنا فقيرة ولم أجـد رجلاً يتزوجنى لينفق علـى .. هل لك أن تساعدنى ؟ »

أتجه لثيابى المعلقة وأفتش فى الجيوب .. هناك بعض قطع العملة أحتفظ بها قبل أن .. قبل أن أنسى كـل شـىء .. أحضر لها بضع القطع وأدسها فى يدها ..

صحت تلك المرأة الشقراء من نومها وهتفت إذ رأتنى :

ـ « أنت بخير ؟ آسفة لأننى لم أصح فى الوقت المناسب .. »

نظرت لها فى غباء . بالتأكيد فى غباء فتحسست شيئًا مؤلمًا على جبينى وهتفت :

ـ « آسفة لهذه الكدمة .. لكنك ستكون بخير .. »

سألتها عن السبب الذى جعلها تنام بكامل ثيابها فقالت :

ـ « كنت ميتة من التعب .. لا عليك .. ترى أين يمكن أن نأكل هنا ؟ »

حقًا لا أذكر ولا أعرف .. ثم حانت منى نظرة إلى جوار الباب فرأيت صينية الطعام هناك .. جلبوها لى وأنا نائم . إذن الطعام يأتينى فى الحجرة .. قالت لى :

ـ « لماذا لا نذهب معًا لتناول الطعام فى الكافتيريا ؟ »

قلت لها وأنا أعود إلى الفراش :

ـ « أنا مريض جدًا كما ترين .. إنهم منعونى من الخروج من الغرفة .. »

ـ « من هم ؟ »

فكرت قليلاً .. لا أذكر طبعًا ..

بعد قليل جاء ذلك الطبيب الملتحى الشاب .. يبدو من نظراته أننى أعرفه جيدًا .. عربى هو .. أنا لن أخطئ هذه الملامح .. ومعه طبيب أسود البشرة أخبرنى أنه يدعى (جابرييل) وأنه مختص بالأمراض العصبية ..

تبادل الطبيبان التحيات مع المرأة ثم طلب منى الطبيب الأسود أن أرقد على الفراش .. سألنى عن سبب الكدمة على جبينى فقلت له إننى لا أذكر ..

قال الطبيب الشاب الذى عرفت أن اسمه (عبد العظيم) :

ـ « يقول إنه سقط فى الحمام .. »

ثم تساءل بقلق :

ـ « هل تعتقد أن هذا قد يؤثر سلبًا ؟ »

قال الطبيب الأسود :

ـ « لا أعتقد .. يبدو لى بخير .. »

ـ « ولا إيجابًا ؟ »

ـ « لا أعتقد أيضًا .. هذه الأمور تحدث فى الأفلام الرديئة فقط .. »

سألنى الطبيب الأسود عما إذا كان شىء جديد قد طرأ ..

فتحت منكرتى وبحثت فيها عدة مرات .. نعم .. الشخص الذى تسلل .. الملاءة ..

قلت له فى خجل :

ـ « نعم .. إننى أبلل فراشى .. »

شهقت المرأة فى دهشة ، بينما بدا بعض الأسف على وجه الطبيب الملتحى الشاب الذى نسيت اسمه .. نظر لها الطبيب الأسود منذرًا .. يبدو أن الكلام عن هذا يزيد حالتى سوءًا ..

تبادل بضع كلمات مع الطبيب العربى الشاب ، وسمعت عبارة :

ـ « ليس هذا واردًا .. هذا يغير كل شىء .. »

ثم التفت إلى المرأة الشقراء وقال :

ـ « فراو (شيفرن) .. هل كان زوجك على ما يرام فى ألمانيا ؟ لاحظى أننا لا نستطيع استخلاص حرف عن هذا الموضوع منه .. »

فكرت قليلاً وحكت شعرها ثم قالت :

ـ « على ما يرام ؟ على قدر علمى نعم .. لم تكن هناك

مشاكل حادة لو كنت تفهم ما أعنيه .. لقد قضى هناك شهرًا قد زرنا الأصدقاء وقمنا بعدة نزهات ، ثم رتب أموره المالية وعاد .. »

ـ « كانت ذاكرته جيدة ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « ولم يحدث أى فقدان تحكم فى المثانة أو المستقيم ؟ »

ضحكت ضحكة قصيرة لا مجال لها فى الواقع وقالت :

ـ « لو كنت تتكلم بلغة مهذبة عن البول والبراز فلاتقلق .. كان بخير .. »

نهض إلى المرأة فانتحى بها جانبًا ، ثم همس لها ببعض كلمات ، فبدا عليها اهتمام قلق .. وقال لى وهو يولينى ظهره :

ـ « بروفسور .. أكون شاكرًا لك لو أغمضت عينيك بعض الوقت .. »

فعلت كما طلب وأنا أشعر بأننى سخيف وأن رائحة الابتذال تفوح من كل شىء ..

بعد ثانيتين شعرت بذلك الشىء المبلل يلمس أنفى فأجفلت لكن لم أفتح عينى :

ـ « ماذا تشم تحت أنفك الآن ؟ »

رائحة غريبة لكن لا أستطيع أن أصفها بوصف معين .. هكذا هززت رأسى وفتحت عينى لأجد قارورة أنيقة من الكريستال يضعها الرجل تحت أنفى وهو ينتظر ..

قلت له :

ـ « ما المفترض أن يكون هذا ؟ »

اتسعت عيناه شديدتا البياض وسط وجهه الأسود وقال :
ـ « هذا عطر .. والأهم أنه عطر زوجتك .. أخذناه من حقيبتها .. كان المفترض أن تعرف أن هذا عطر زوجتك أو على الأقل تعرف أن هذا عطر .. »

ـ « ربما كان كريه الرائحة .. هذا ليس ذنبى .. »

ناول الزجاجة للمرأة بينما بدا القلق على وجه الطبيب الملتحى الشاب .. وبعد همستين معه رأيت الطبيب الشاب يخرج من جيب معطفه خيطًا جراحيًا صغيرًا أسود .. وناولنى إياه ومد لى إصبعه السبابة وقال كأنه ينصح طفلاً أو يشجعه :

ـ « الأمر سهل يا سيدى .. اعقد لى عقدة صغيرة حول هذا الإصبع .. هل تعرف ما معنى عقدة ؟ »

يا له من سؤال سخيف .. طبعًا أعرف ما معنى عقدة .. لكنى عبثًا حاولت أن أحرك أناملى بالشكل الصالح لذلك .. كيف يمكن عمل هذا الشيء ؟ حاولت عدة مرات بلا جدوى ..

لم تكن هذه آخر الأعمال المعقدة التى طلبها منى .. طلب أن أكتب ليرى خطى .. طلب أن آكل بشوكة وسكين .. طلب أن أزرر قميصًا ..

قال لى الطبيب الأسود :

ـ « حسن .. هذا يكفى اليوم يا سيدى .. أعتقد أننا سنرتب لك فحصًا بالأشعة المقطعية أو الرنين المغناطيسى غدًا .. »

سألته فى قلق :

ـ « هل الأمر خطير ؟ »

ـ « لا .. لكن ما نجهله كبير كذلك .. »

فما إن غادرا الغرفة حتى رحت أدون كالمجنون ما حدث وما قيل .. أعرف أنه على الأرجح بعد عشر دقائق لن أذكر حرفًا ..

* * *

الكراس الثانى

(أوراق ممزقة لهذا لم نعرف الترتيب الصحيح قط)

الأحد أكتوبر 35 :

عندما تصطدم السيارة بالشجرة يندفع الموتور ليرتطم بها أول شىء .. ثم يصيبه رد الفعل فيعود ليخترق التابلوه قاصداً صدرك الذى تضغط عليه أصلاً عجلة القيادة .. فى هذه اللحظة الفاصلة ربما تتهشم الساق التى تضغط على الفرملة .. لأن تلك الأخيرة تدفعها بذات قوة التصادم .. وكما قال (نيوتن) فجسدك يضغط على الأرض بذات القوة التى تجذبك الأرض بها ..

وأصحو من النوم غارقًا فى العرق أوشك على القىء ..

هذا الكابوس مريع حقًا .. لا أعرف لماذا أشعر بأننى رأيته من قبل ..

من أنا ؟ من هذه المرأة الراقدة بقربى .. أصابنى الذعر وكدت أطلب النجدة ، ثم قررت ، أن أفتح المذكرات لأطالع بسرعة ما هنالك ..إذن هذه المرأة زوجتى .. غريب هذا .. أنا لا أحب الشقراوات .. اسمى (هانز شيفرن) .. عالم فى المناعة .. غريب هذا أيضًا .. أنا لا أعرف أصلاً ما معنى كلمة مناعة .. هذه وحدة علاجية تدعى (سافارى) .. أنا

فى الكاميرون .. أنـا الآن فـى غرفتـى التـى أبيت فيهـا فـى الوحدة .. هذا هو كل ما أعرفه عن نفسى ..

لا بأس .. لا بأس ..

أفتح درج الكومود .. ثمـة مذكرات كثيرة وورقـة كتب عليها .. أفتح درجًا آخر فأجد ورقة صغيرة تقول : 312JKL789 .. ما معنى هذا ؟ على الورقة من الجهـة الأخرى كتابـة تقول (عند شيكو) ..

نهضت من نومها ونظرت لى .. ابتسمت وقالت :

ـ « أشعر اليوم أنك فى حال أفضل .. أرى فى عينيك نظرة ذات معنى ما .. يخيل إلى أنك ستتذكر كل شىء .. »

لم أفهم ما تقول .. لكنها مدت يدها تتحسس جبهتى .. ثمـة شىء يؤلم هناك ..

قالت لى فى رفق :

ـ « سوف تزول سريعًا .. لا تقلق .. أنت اصطدمت بالكومود وأنت تتقلب فى نومك .. »

هززت رأسى .. لا أذكر ذلك البتة .. ثم حانت منى نظرة إلى الجرس جوار الفراش .. هناك لافتة كتب عليها (أطلب مـاجدا) .. ما معنى هذا ؟

رأت نظرتى فقالت :

ـ « لابد أنها عاملة الغرف .. »

مضت ساعات اليوم بروتين ممل .. لا أشعر بأية مودة نحو هذه المرأة لكنها تصر على أنها زوجتى .. من حين لآخر تخرج لى صورتها مع فتاة مراهقة وتقول إن هذه ابنتنا .. لا أذكر .. تقول إنها جاءت من ألمانيا خصيصًا لى بعد الحادث ..

قلت لها :

ـ « هل أطلب منك خدمة ؟ »

ـ « أى شىء أيها العزيز .. »

أخرجت ورقة وكتبت عليها (جرترود ـ زوجتى) .. ثم قصصتها على شكل بطاقة صغيرة وناولتها إياها وقلت :

ـ « أريد أن تثبتى هذه الورقة على صدرك طيلة الوقت ! »

هتفت فى دهشة تصل إلى الاشمئزاز :

ـ « تريد أن أعلق هذه الورقة على صدرى ؟ هل وصلت الأمور لهذا ؟ وماذا عن سخرية الساخرين ؟ »

قلت متوسلاً :

ـ « على الأقل فـى اللحظات التـى نختلـى ببعضنـا .. أنـا بحاجة لهذا صدقينى .. »

هكذا ثبتت الورقة على مضض .. يبدو الأمر غريبًا ..

عند الظهيرة جاء مدير (سافارى) .. هذا الرجـل البدين اللاهث .. ماذا كان اسمه ؟؟ هو قال لـى إن اسمه (بارتلييه) .. لم يكن وحده .. كان معه ضابط كاميرونى ورجل آخر شرير المنظر قيل لى إنه نائب المدير .. (باركر) .. اسمه (باركر) ..

قال لى المدير فى حرج وهو يشير لرجل الأمن :

ـ « المقدم (مارسو) يريد أن يعرف بعض الأشياء منك .. »

كان للرجل الأسود صوت غليظ أسود .. كل الأفارقة على الأرجح لهم هذا الصـوت المعدنى الغليظ وكـان يتكلم الفرنسية بطلاقة .. قال لى :

ـ « لقد فحصنا حطام السيارة أكثر من مرة .. نحن متأكدون مما نقول .. هناك من أفسد الفرامل .. هنـاك من زحـف تحت السيارة وقطع سلك الفرامـل .. والقطـع تم بـأداة حـادة وببراعـة فلايمكن أن يكون صدفة .. »

هتفت فى جزع غير مصدق :

ـ « ولماذا ؟ من يفعل هذا ؟ »

ـ « جئنا هنا لتوجيه السؤال ذاته .. إن لك عدوًا أراد الخلاص منك وقد اقترب جدًا .. »

ـ « عدو ؟ من ؟ »

ـ « هذا ما نريد أن تخبرنا به .. من كان على عداوة معك ؟ بما أنك اتخذت طريقًا غريبًا متعرجًا آن ذهابك إلى (أنجاونديرى) فنحن نطلب تفسيرًا .. لماذا لم تتجه إليها مباشرة ؟ ثانيًا يصعب أن تقود السيارة كل هذا الطريق دون أن تعرف أن الفرامل مختلة .. تخريب الفرامل حدث في موضع ما من الطريق قبل مكان الحادث .. نريد منك تفسيرًا .. نريد مسار سيارتك .. نريد معرفة آخر مكان توقفت فيه قبل الحادث .. »

نظرت له طويلاً وضحكت .. المفترض أولاً أن هناك حادثًا ! وهذا الرجل يريد منى أن أقدم له تقريرًا كاملاً عن ذلك اليوم أنا الذى أضع بطاقة تعريف على ثوب زوجتى ..

برغمى نظرت لها فنظروا جميعًا ورأوا تلك البطاقة اللعينة التى لم تجد وقتًا لتخفيها .. وضعت يدها عليها فى حرج وحاولت أن تبتسم ..

قال (بارتلييه) وهو يتنحنح فى ارتباك :

ـ « لا تقلق .. سوف تتذكر كل شىء .. »

ثم قال لرجل الأمن :

- « الواقع إن ما تطلبه مستحيل .. طبيب الأمراض العصبية يقول إن هذا مستحيل .. »

بعصبية قال الرجل الشرير الذى نسيت اسمه موجهًا كلامه لرجل الأمن :

- « لماذا لا تقومون ببعض عمل الشرطة الجيد ؟ لماذا لا ترفعون البصمات ؟ تسألون عمن قابل فى ذلك اليوم .. إلخ ؟ لو أن (سكوتلانديارد) هى التى تتولى الموضوع لما احتاجوا إلى كل هذا الوقت .. »

قال رجل الأمن فى عصبية ضاغطًا على كلماته :

- « سيدى .. نحن لسنا مجموعة من سحرة الأحراش .. نحتاج إلى أدلة ومعلومات وتحقيقات مثل أى واحد آخر .. »

- « إذن افعل هذا بسرعة .. »

هكذا نهض الرجل وحياتى .. وطلب منى أن أتذكر .. فقط أحاول أن أتذكر ..

كتبت هذا كله فى الكراس كى لا أنساه .. أحضرت تلك المرأة - ماذا كان اسمها ؟ - (جرترود) بعض البرتقال وراحت

تقطعه لى مصرة على أن فيتامين (ج) مفيد .. أنا أعرف أنه ما من شىء مفيد لى إلا الموت .. حياتى كلها عبارة عن حاضر واحد طويل .. فى كل يوم أجد نفسى أمام تلك المشكلة المصيرية .. من أنا ؟ ماذا أفعل هنا ؟ من هؤلاء ؟

فجأة صرخت وأمسكت بيدها .. رأيت الدم ينزف من جرح طولى عميق .. أصابنى الهلع .. جريت وأمسكت بيدها لكن الدم ظل يسقط على يدينا معًا .. قالت فى رعب :

ـ « دعك من هذا الهراء .. أطلب الممرضة .. »

ممرضة ؟ هل هناك ممرضة ؟ نظرت حولى فوجدت لافتة معلقة جوار الفراش :

ـ « أطلب (ماجدا) .. »

لا أعرف من علق هذه اللافتة .. لكنها مفيدة .. دققت الجرس فظهرت امرأة سوداء لم أرها من قبل قط .. قالت لى إن اسمها (ماجدا) .. هذه بدورها هرعت إلى الهاتف وطلبت ممرضة ما ..

وبعد قليل جاءت ممرضة سوداء تحمل الضمادات وراحت تطهر كف المرأة .. أقرأ الاسم على صدر المرأة الشقراء الجريحة .. (جرترود ـ زوجتى) .. تسألنى الممرضة :

- « هل تريد أن آخذها إلى الطوارئ ؟ لربما لحتاج الجرح إلى خياطة أو عناية ما ؟ »

أقول لها إننى لا أعرف .. فتقول المرأة (جرترود) :

- « لا أظن هذا يا عزيزتى .. أنت فعلت ما هو مطلوب .. لقد توقف النزف .. شكرًا لك .. »

قبل أن تنصرف (ماجدا) قالت لى إن زوجها مريض وبحاجة لعلاج .. دسست فى يدها بعض قطع العملة وجدتها معى .. مسكينة ..

لجلس لأدون كل هذا قبل أن أنساه ..

* * *

الأحد أكتوبر 122 :

عندما ترتطم السيارة بحاجز الأشجار تتطاير قطع المعدن فى كل صوب .. مسامير .. صواميل .. أشياء لم تعرف أنها موجودة قط .. والماء الساخن المغلى فى الرادياتور ينفجر كالنافورة فى كل صوب ..

تدوس الفرامل .. لكنها لا تعمل أو لا تؤدى المطلوب منها .. ربما كانت قوانين الحركة أقوى منها .. إنه التسارع .. إنه القصور الذاتى .. إنها طاقة الحركة .. إنها كل شىء يمكن أن يجعلك تستمر فى الاندفاع .. والشجرة ترد الصفعة بأعنف منها ..

أصحو من نومى غارقًا فى العرق البارد .. ما زالت ساقى تؤلمنى حين (دست) على الفرملة فى الحلم .. أين أنا ؟ من أنا ؟

كان هناك كراس هنا . أتذكر هذا .. يبدو أننى كنت مواظبًا على كتابة المذكرات .. لكن أين هو ؟ يا للكارثة ! لا يوجد كراس !! الكراس الذى يخبرنى من أنا وأين أنا وماذا حدث لى بالضبط !

من هذه المرأة الراقدة فى الفراش والتى تريح يدها المضمدة على الوسادة ؟

هناك بقع دم على الأرض .. ما معنى هذا ؟ هل مصدرها هذه المرأة ؟

هززتها فى غلظة لتنهض .. إنها شقراء فى منتصف العمر .. سألتها فى حدة وهى ترمقنى بغباء المستيقظ من النوم لتوه :

ـ « من أنت ؟ أين ذهب الكراس ؟ »

مدت يدها إلى الكومود بجوارها وتناولت قطعة ورق وثبتتها بدبوس إلى صدر ثوبها .. كتب على الورقة (جرترود ـ زوجتى) .. أنت زوجتى؟ لا أصدق هذا .. غريب ..

قالت لى فى حزن :

ـ « للأسف أيها العزيـز .. عليك أن تستعيد وجهى كل يوم ، لكنى على ذلك صابرة إلى أن تستعيد ذاكرتك . . . »

سألتها السؤال الثانى بإلحاح :

ـ « وأين الكراس ؟ »

لوحت بذراعها وهتفت :

ـ « حتى هذا نسيته ؟ هنـاك مـن تسلل للغرفـة ليلاً .. لا أعرف من هو .. كنت فى الحمام وعدت لأجده يخرج مـن البـاب .. كـان ملثمًـا .. مددت يـدى لأوقفـه فنـاولنى ضربـة بمدية حادة فى يدى سقطت على أثرها على الأرض .. وقـد فر .. بعد هذا فتشنا الغرفة بعنايـة فوجدنـا أنـه سرق الكراس .. بل إنه ضربك على جبهتك . »

ومدت يدها تضعها على شىء مؤلم للغايـة على جبهتـى تحت مستوى الأربطة ..

قلت لها وأنا أحك رأسى :

ـ « لماذا ؟ وماذا كان فى ذلك الكراس ؟ »

ـ « لا أعرف أهميته لهم .. لكنه مهم لك .. أرى أن تدون من جديد بياناتك .. »

وراحت تملى على من أنا .. قالت إننى أستاذ مناعة ألمانى يدعى (شيفرن) وإننى زوجها .. تكلمت عن حادث أصابنى وجعلنى أنسى كل ما حدث فى الماضى وكل ما يحدث فى الوقت القريب .. حالة نادرة من فقدان الذاكرة كما قالت ..

ثم نهضت لتغسل وجهها وتبدل ثيابها ..

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

(كلينزمان) يطفئ سيجاره ويسوى الروب الذى يرتديه ويقول لى :

ـ « أنت تسىء فهم الأمور .. الحياة ليست بهذه البساطة .. »

قلت له وأنا أطفئ السيجار الذى أعطانيه :

ـ « اسمع .. انا لا أستنتج .. هى قالت كل هذا .. »

من جديد قال وهو يقتادنى إلى الباب :

ـ « لا تصدق النساء .. إنهن لا يعرفن ما يردن حقًا ، ويقلن أشياء لم يقلها أحد .. »

و(كلينزمان) ينظر لى فى ثبات ويقول :

ـ « افعل ما تريد وسأفعل مـا أريد .. ثق أنـك لـن تكـون الفائز .. »

* * *

بعد الغداء خرجت لأمشى معها بعض الوقت فى ذلك المكـان الذى يدعونه (سافارى) ..

قالت لى :

ـ « لا تدع ذكرى ذلك المتسلل تنغص عليك اليوم .. »

سألتها باهتمام :

ـ « أى متسلل ؟ »

مكان جميل .. هناك الكثير من المرضى الأفارقة .. أطباء كثيرون يلوحون لـى محيين .. لا أعرف واحدًا منهم لـذا أضحك ببلاهة .. كانت هناك نافورة جميلة فى مركز الوحدة وحولها أزهار بارعة الجمال .. شعرت برغبة ماسة فـى أن أجرب هذه المياه ..

هتفت فى ذعر وهى ترانى أترك يدها :

ـ « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

قلت وأنا أضحك فى جذل :

ـ « سأجرب هذا الماء ! نافورة جميلة جدًا .. »

هل كنت سباحًا بارعًا ؟ لا أعرف .. لكن حبى الشديد للماء يقول هذا .. هكذا نزلت فى الماء بحذائى وثيابى وشعرت بالمياه المنعشة تتدفق من أعلى لتبلل وجهى .. كم أن هذا جميل .. كم أن هذا منعش ..

ها ها ها ها !

فقط كنت أرى من بين قطرات الماء المنهمر من حاجبىّ تلك المرأة الشقراء تنظر لى فى رعب ، ثم تصيح :

ـ « هل جننت ؟ (هانز) !! أخرج فورًا !! »

ورأيت حشدًا من الأطباء والمرضى يحتشدون ليراقبوا المنظر كأنهم فى مدينة الملاهى وأنا أضحك وأضحك ..

رأيت طبيبًا شابًا ملتحيًا لم أره من قبل قط يثب داخل النافورة وهو يصيح :

ـ « د . (شيفرن) ! هذا سيؤذى الجروح فى رأسك .. أرجوك أخرج !! »

قلت له فى مرح :

ـ « دعنى أيها الشاب ! أنا سعيد بهذا .. »

هكذا مد يديه تحت إبطى وأخرجنى بالقوة من هناك .. ورأيت طبيبًا أسود لم أره من قبل يهرع ليساعده بينما المرأة الشقراء تصيح :

ـ « لقد جن .. جن تمامًا .. لابد من أن تجدوا حلاً لذلك ! »

كانوا يلفون حولى منشفة ما واقتادونى إلى مكان أعتقد أنه كافتيريا حيث قدموا لى مشروبًا كريهًا لابد أن من صنعه أراد أن يكون قهوة ..

قال الطبيب الملتحى :

ـ « د . (شيفرن) .. لماذا فعلت ذلك ؟ سوف تصاب بالبرد حتمًا .. »

قلت له فى تحد :

ـ « هل أعرفك أيها الشاب ؟ »

أشار إلى بطاقة تعريف مثبتة لجيب معطف وقد كتب عليها إلى جوار صورته (د. عبد العظيم ع .) . إذن هو عربى .. كنت أتوقع هذا .. ربما كان باكستانيًا لكن لا .. هو عربى ..

نظر فى قلق لى الطبيب الأسود بجواره وهمس بشىء ما فقال الطبيب الأسود :

ـ « نعم .. كل شىء يسير فى الاتجاه الصحيح باستثناء نقطة واحدة .. »

لا أعرف عم يتكلمون بالضبط ..

* * *

الثلاثاء أكتوبر 9 :

تدور السيارة حول نفسها بعد ما تلقت الضربة القاصمة .. وهنا فقط يصير كل شىء فى اتجاه .. ما هو فوق صار إلى اليمين ، وما هو تحت صار إلى اليسار .. وفقدان تام للحيلة .. أنت فى طريقك إلى النجوم .. ستفتح بوابة السر حالاً .. كم أن هذا مخيف ..

أنهض على وشك الصراخ مبللاً بالعرق .. من أنا ؟ من تلك المرأة فى الفراش ؟ أين أنا ؟ أفتح الكراس الذى لا يحوى صفحات كثيرة .. غريب هذا .. اسمى (هانز شيفرن) .. ألمانى أستاذ علم مناعة .. فى منتصف العمر .. هذه وحدة علاجية تدعى (سافارى) .. أنا فى الكاميرون .. أنا الآن فى غرفتى التى أبيت فيها فى الوحدة .. هذا هو كل ما أعرفه عن نفسى .. هناك حادث .. هذه زوجتى ..

الفراش مبلل تمامًا .. كيف ومتى ؟ أنا أبول على نفسى أثناء النوم كأى طفل شقى ! لا أصدق هذا .. ثم هذا الشعور بالبرد .. أريد أن .. أعطس .. أعطس ..

لابد من تغيير الملاءة لكنى لن أطلب ذلك من هذه المرأة .. ثمة لافتة جوار جرس تقول (أطلب ماجدا) .. لابد أن هذا هو الحل الصحيح ..

أدق الجرس فتأتى (ماجدا) هذه .. لابد أنها هى .. ترتبك إذ ترى أن زوجتى نائمة لكنى أهزها لأوقظها .. يصيبها الهلع حين ترى أن الملاءة مبتلة لكنها تتماسك أمام المرأة الشقراء ..

المرأة تبدل الملاءة .. تقول لى :

- « زوجى مريض .. هل معك بعض المال ؟ »

أتجه لثيابى وأنتقى بعض العملات وأدسها فى يدها .. ثم تنصرف وهى تنظر لى نظرة غريبة ..

أسأل المرأة الشقراء عن سبب الضمادات على يدها فتقول لى فى ضيق ، كأنما هى قالته لى ألف مرة :

- « متسلل سرق كراس مذكراتك السابق وجرحنى وسبب لك هذه الكدمة فى جبهتك .. »

حقًا هناك كدمة فى جبهتى .. وأنا كذلك أعطس ..

* * *

خرجت أتريض فى الحديقة .. الكل ينظر لى فى دهشة .. البرد بدأ يتغلب على لكنى سأقاومه .. جميلة هذه الوحدة التى نسيت اسمها ..

فجأة يدنو منى طبيب شاب ملتح .. هذه الملامح عربية حقًا .. أنا لم أره من قبل لكن بطاقة تعريف على صدره تقول : (د . عبد العظيم ع .) . يصافحنى فى مودة .. إذن هو يعرفنى جيدًا .. يقول لى :

ـ « كيف حالك اليوم يا أستاذى ؟ لابد أن حمام أمس قد أصابك بهذا البرد .. لو كنت مكانك لتناولت بعض أقراص فيتامين (ج) ولزمت الفراش .. »

أنا أعرفه وكنت أستاذه ؟ غريب هذا حقًا ..

يناولنى مظروفًا ويقول لى :

ـ « هذا الخطاب جاء من ألمانيا اليوم .. إنه موجود لك وقد طلبت أن أسلمه لك بنفسى .. »

ثم أضاف فى حيرة :

ـ « هل لاحظت اسم المرسل ؟ إنه أنت ! أنا لا أفهم الألمانية لكن من السهل أن أقرأ اسمك .. »

مددت يدى ومزقت طرف الخطاب وفتحته وأنا أشـهق لأمنع المخاط من أن يسيل .. كانت بداخل الخطاب مجموعة من الصور .. رأيته يمد وجهه ليرى ما أراه وضـايقنى هذا .. ثم تجاهلته لأن الفضول غلبنى كى أعرف ما أرسلته لنفسى من ألمانيا ..

كانت هناك صورة لى وسـط مجموعة من الرجال ونحن نضحك للكاميرا فى مؤتمر ما .. وعلى الصـورة كتبت بقلم (فلوماستر) غليظ : ـ « لا تثق بواحد منهم .. »

صورة أخرى لوجه تلك المرأة .. نسيت اسمها .. الشقراء التى تبيت معى والتى هى زوجتى .. وقد كتبت على الصورة (قذرة) .. لا أفهم شيئًا .. ثم قصاصة تقول : ـ « الحاسب الآلى » ..

كان الفتى يمط وجهه محـاولاً تبين ما أراه .. وبوقاحـة لا مثيل لها قال :

ـ « سيدى .. أنا لا أفهم الألمانية ، لكنى أعتقد أن هذه تعليمات كتبتها لنفسك كى تذكرك بشىء ما .. تعليمـات خشيت أن تضعها فى حقائبك لذا أرسلتها لنفسك .. »

هززت كتفى .. ليتنى أستطيع تأكيد أو نفى ما يقول ..

قال لى فى لهجة انتصار :

ـ « هل تعرف ما معنى ذلك ؟ معناه أنك لم تكن على ما يرام فى ألمانيا .. معناه أن ذاكرتك كانت تتدهور .. وهذا يضعنا أمام سؤال آخر .. لقد قالت زوجتك إنك كنت على ما يرام تمامًا هناك .. فلماذا كذبت ؟ »

قلت له وأنا أجمع الصور فى المظروف وأبتعد :

ـ « لا أعرف عم تتكلم أيها الشاب .. تشو .. أرجو أن تتركنى وشأنى .. تشو ! »

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

(كلينزمان) يطفئ سيجاره ويسوى الروب الذى يرتديه ويقول لى :

ـ « أنت تسىء فهم الأمور .. الحياة ليست بهذه البساطة .. »

قلت له وأنا أطفئ السيجار الذى أعطانيه :

ـ « اسمع .. انا لا أستنتج .. هى قالت كل هذا »

من جديد قال وهو يقتادنى إلى الباب :

ـ « لا تصدق النساء .. إنهن لا يعرفن ما يردن حقًا ، ويقلن أشياء لم يقلها أحد .. »

* * *

توقفت لأدون كل ما مر بى اليوم .. لا أعرف جدوى هذا لكن قد أحتاج إليه غدًا ..

كنت أمـر بجوار شجرة غليظـة عنـد أطراف الوحـدة .. مكـان يمكن القول إنـه منعزل بعيد عن العيون .. حينمـا شعرت بشىء قوى يجذبنى من كمى وراء تلك الشجرة ..

لم أفهم ما هنالك خاصـة أنى كنت واهنًا إلا أننى وجدت وجهًا قبيحًا لرجل أوروبى غليظ الصوت والنظرات والجسد .. كان يقف هنالك وهو يمسك بكمى بذراع ويضع مطواة حادة تحت ذقنى .. ويقول بالألمانية :

ـ « كلمة واحدة وسوف تفارق عالمنا .. »

لم أفهم ماذا يجرى ففتحت فمى لأستغيث لكنـه دس طرف المطواة فى ذقنى أكثر وقال :

ـ « أنا لا أمزح .. اسمع .. أنا لا أصدق حرفًا عن موضوع الذاكرة هذا .. كلنا لا نصدق حرفًا .. لقد أخذنا مـن غرفتـك تلك المذكرات المشفرة الخاصة بتجاربك لكن لم نفهم شيئًا .. نريد كل الجداول والأعداد .. نريد أسماء المرضى .. كـل شىء .. هذا هو الإنذار الأخير .. »

قلت له وأنا أشعر بالدم يسيل هناك :

ـ « اسمع .. أنا لا أفهم حرفًا .. »

ـ « إذن يمكن لمزيد من الضغط أن يحسن ذاكرتك نوعًا .. »

قلت له محاولاً كسب الوقت :

ـ « لنفترض أننى قبلت فكيف أسلمك هذه الأوراق ؟ »

ـ « أنت تعرف المكان .. عند (شيكو) كالعادة .. ستترك عنده كل شىء ولا تحتفظ بأية نسخة معك .. هل فهمت ؟ »

وقبل أن أرد بالإيجاب كان قد توارى ..

مددت يدى وأعدت إخراج الصور من المظروف .. الصورة التى تمثلنى جالسًا مع رجال .. هذا هو .. بالتأكيد هو .. ذات الرجل الذى هددنى بالسكين يجلس وسطهم .. التعليق يقول (لا تثق بواحد منهم ..) .. كنت محقًا إذن حينما كتبت هذا .. أخرجت قلمى وأشرت إلى رأس الرجل بسهم وكتبت (هددنى بسكين) .. لا أعرف ماذا يريد ..

أخرجت أوراقى ورحت أدون ما حدث بسرعة البرق قبل أن أنسى .. كان هذا من حسن حظى لأننى بمجرد أن انتهيت كنت قد نسيت كل شىء عن هذا الموضوع ..

* * *

الخميس أكتوبر 89 :

(أطلب ماجدا) ..

لابد أن هذا هو الجواب الصحيح .. لابد أن (ماجدا) هذه عاملة يمكنها أن تزيل هذا البلل على الفراش .. لكن من هذه المرأة الشقراء النائمة على الأريكة ؟ .. أنا لا اعرفها ..

ما سر هذا الصداع ؟ لماذا يسيل أنفى هكذا ؟ تحسست بمنديل .. هذا مخاط وليس دمًا .. إنني مصاب بالزكام .. تشوه !

بحثت عن الكراس ورحت أطالعه .. هذه زوجتى إذن .. أنا (هانز شيفرن) عالم المناعة فى وحدة اسمها (سفارى) .. غريب هذا ..

ثمة شيء مايبرز طرفه تحت بساط الأرضية .. مددت يدى وتناولته .. صورة امرأة شقراء مع تعليق يقول (قذرة) .. غريب هذا .. إنها المرأة ذاتها .. ما معنى هذا ؟ ثمة صورة لرجال يجلسون وأنا بينهم أضحك .. وسهم يشير لأحدهم ويقول : (هددنى بسكين) .. متى وأين ؟ ولماذا أضع هذه الصور هنا ؟

تأتى العاملة .. لابد أن هذه هى (ملجدا) .. تبدل الملاءة ثم تنظر لى والدموع فى عينيها وتقول بالألمانية :

- « سيدى .. إن زوجى مريض .. هل يمكنك أن تساعدنى فى شراء علاج له ؟ »

مسكينة فعلاً .. أهرع لأحضر لها بعض المال من ثيابى وأنا أعطس بلا انقطاع .. لا أعرف من أين جاء المال لكنه موجود .. أعتقد أنها ليست من الطراز اللحوح الذى يمعن فى الطلب ..

تنهض المرأة الشقراء من نومها بعد انصراف (ملجدا) .. تسألنى عن الجرح فى ذقنى .. هل هو بخير ؟ هل هناك جرح بذقنى ؟ نعم .. نعم .. لابد أنه حدث أثناء الحلاقة .. وماذا عن الزكام ؟ بخير .. بخير ..

يأتى لى طبيب شاب ملتح معه طبيب أسمر البشرة .. الطبيب الشاب اسمه (عبد العظيم) والآخر يبدو أنه يتابع حالتى واسمه (جابرييل) .. هذا ما كتب على بطاقتى تعريفهما ..

يتكلمان .. لكن .. غريب هذا .. أنا لا افهم حرفًا ..

ماذا يقولان ؟ هذه لغة أعرفها لكن لا أفهم حرفًا منها ..

يتبادلان النظرات وقد بدا أن هـذا آخر ما يتوقعـان ..هنا تتدخل المرأة الشقراء التى تحمل بطاقة تقول إنها (جرترود) زوجتى لتقول لى :

ـ « إنهما يستعملان الفرنسية .. يبدو أنك نسيت الفرنسية وكنت تجيدها إجادة تامة .. على كل حال سأتولى الترجمة .. إن فرنسيتى ليست سيئة .. »

تكلم الطبيب الأسود قليلاً فقالت لى :

ـ « يقولان إن الحادث أثر على عقلك بشكل لا يمكن أن يتغير .. هذا الخلل المخى باق للأبد .. يقولان إن عليك أن تعتاد هذا الوضع .. لكـن وحـدة (سـافارى) لا تسـتطيع الاحتفاظ بك بعد هذا .. »

هنا طلب الطبيب الملتحى الإذن للحظـة .. عاد بعد دقـائق لاهثًا وأنفاسه توشك على الانقطاع وهز رأسـه فـى شـىء مـن الخجل ودس يديـه فـى جيب معطفـه .. هكـذا واصـل الطبيب الأسود الكلام ..

سألتها :

ـ « إذن لا شفاء لى ؟ سأستعين طيلة حياتى بـالمذكرات التفصيلية ؟ »

قالت لى فى فتور :

- « يقولان إنك لن تحتفظ بقدرة القراءة طويلاً ! هذا الخلل يتفاقم بلا انقطاع ويبدو أن الحادث مزق أنسجة المخ ذاتها .. أنت عالة على الوحدة وعليك أن تقبل هذا .. »

نظرت لهما غير مصدق فابتسم الطبيب الملتحى لى بنوع من التشجيع ، ثم نهض وطبع قبلة على جبهتى وهو يقول شيئا بتلك اللغة .. لم أفهم ما يريد لكنى أجفلت لهذه الحركة .. نظرا للمرأة وقال لها شيئًا مفسرًا ثم حيانى وانصرف ..

قالت لى المرأة التى هى زوجتى :

- « لا تثق بهذين .. إنهما يعاملانك بقسوة وأشعر بأنهما يتشفيان فيك »

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

(كلينزمان) يطفئ سيجارة ويسوى الروب الذى يرتديه ويقول لى :

- « أنت تسىء فهم الأمور .. الحياة ليست بهذه البساطة .. »

* * *

كنت أتريض فى المساء مشيًا حينما قابلت طبيبًا شابًا ملتحيًا عربى الملامح .. البطاقة على صدره قالت إن اسمه (عبد العظيم ع .) .. ولم يكن وحده .. كان معه شاب آخر عرفت على الفور أنه ألمانى مثلى .. كان اسمه (يورجين) كما كتب على صدره ..

قال لى الطبيب الشاب الملتحى كلامًا بلغة لم أفهمها .. ففوجئت بالطبيب الألمانى يترجم لى :

ـ « معذرة يا دكتور (شيفرن) .. يؤسفنى أنك بدأت تنسى الفرنسية .. لكن سيلازمك د . (يروجين) أكثر الوقت .. إنه تلميذك وكان من العاملين فى مختبر المناعة معك ، وسوف يسره أن يترجم لك .. »

نظرت إلى هذا الـ (يروجين) .. لم أره من قبل قط ..

قال لى الطبيب الشاب العربى عن طريق المترجم :

ـ لقد خطرت لى فكرة مجنونة هى أن السيدة زوجتك لم تنقل المحادثة التى دارت بيننا بدقة هذا الصباح .. أنا أحمل بعض الشكوك بصددها لهذا هرعت مسرعًا إلى غرفة صديقى (بسام) واستعرت جهاز الكاسيت الصغير الذى يحتفظ به .. جهاز يابانى صغير بحجم كفك يعمل بالبطاريات

الجافة .. داريته فى جيب المعطف .. هكذا سجلت ترجمتها الكاملة لما قاله د. (جابرييل) .. ثم قررت أن أحضر مترجمًا محايدًا هو د. (يورجين) .. اتضح أنها لم تنقل لك كلمة واحدة صادقة .. هل تتخيل أننا يمكن أن نكلمك بهذه الوقاحة والقسوة ؟

قلت فى عدم فهم وأنا أجفف أنفى بكمى :

ـ « هل تعنى أننى أعرفك وأن محادثة سابقة دارت بيننا ؟ »

قال باسمًا :

ـ « نعم .. والمحادثة كانت رأى د. (جابرييل) فى الحالة كلها .. لم يكن الحادث هو الذى أفقدك ذاكرتك .. ذاكراتك كانت تتدهور قبل ذلك بفترة طويلة .. وهذا يجعل التشخيص أكثر منطقية .. ستعرف كل شىء عندما تلقى د. (جابرييل) يا سيدى .. »

* * *

الكراس الثالث

(من هنا الترتيب صحيح)

الجمعة نوفمبر 1 :

عندما تكتمل الدورة يكون الحزام المضاد للصدمات قد بدأ يمزق كتفك وهو نفسه يتمزق .. السيارة (ستروين) لا تتعامل براحة مع ألمانيتك ، لكنك اشتريتها من هنا حيث يؤمنون بها .. لهذا تبدو السيارة متمردة عصية عليك .. معادية نوعًا ما .. والآن يبدو أن العجلات استقرت على الأرض لكن شيئًا لم يتوقف بعد .. ما زال الدوران مستمرًا .. وأنت تتساءل : متى يأتى فقدان الوعى ؟ لماذا لا يأتى حينما نريده ؟

وأصحو من النوم شاعرًا بغثيان حقيقى ..

هناك امرأة تنام هناك على الأريكة .. ما السبب ؟ من هى ؟

تنهض المرأة وتقول لى وهى تشير إلى ضمادة فى يدها إن رجلاً تسلل أمس وطعنها فى يدها وسرق تلك الكراسة .. تخبرنى أنها زوجتى وأننى أدعى (شيفرن) وأننى فى (سافارى) . وأننى خرجت من حادث مروع .. الصورة تحت البساط تقول إن هذه المرأة (قذرة) .. لماذا أسبها بهذه الوقاحة ؟ ماذا فعلت ؟

(أطلب ماجدا) .. لابد أنها العاملة .. أمد يدى إلى الجرس وأدقه .. عاملة سوداء تأتى للغرفة وتنظف كل الفوضى .. لاحظت أن الملاءة متسخة فلم تعلق ثم طلبت بعض المال لزوجها المريض .. أعرف هذا الطراز من النساء اللاتى لا يطلبن مالاً إلا فى ظروف بالغة الإلحاح ..

تقول لى المرأة الشقراء إن على أن أدون ذكرياتى فى كراس جديد .. قالت لى إن إحساسى بالتاريخ مرتبك وهناك خلط كامل فى الأيام ، لذا اختارت لى كراس خواطر به التواريخ جاهزة فلا أحتاج إلا إلى الكتابة فى صفحة جديدة كل مرة ..

عند الظهيرة يأتينى طبيب شاب ملتح يدعى (عبد العظيم) وطبيب أسود يبدو أنه يتابع حالتى .. ومعهما طبيب ألمانى يدعى (يورجين) .. عرفت هذا من بطاقات التعريف على الصدور .

يقول الطبيب الملتحى لزوجتى شيئاً .. فتنظر لى ثم تترجمه إلى الألمانية :

ـ « يطلبون أن ينفردوا بك .. وهم مصرون على هذا .. رفضت باعتبارى مترجمتك قبل أن أكون زوجتك .. »

هنا تدخل الطبيب الألمانى وقال ضاغطًا على كلماته :

ـ « (فراو شيفرن) لقد عرفنا طرفًا من محادثة أمس .. يؤسفنى أنك لم تكونى أمينة فى ترجمة ما قيل .. لهذا أقوم أنا بهذه المهمة التطوعية .. لا أعرف ما بينك وبين زوجك ولا يهمنى أن أعرف لكن د . (جابرييل) يريد التأكد من أن رسالتنا قد وصلت لزوجك كاملة .. »

قالت وهى تعقد ذراعيها على صدرها فى تحد :

ـ « وأنا مصرة على أن أبقى هنا .. ليس من حقكم إرغامى على ترك زوجى »

تبادل كلمات مع الطبيبين الآخرين ثم قال :

ـ « فعلاً لا يقدر أحد على إرغامك .. لذا تفضلى بالجلوس .. وسأكون شاكرًا لو قام د . (شيفرن) بتدوين هذه المحادثة لأننى أريد أن يتذكرها من آن لآخر .. »

هكذا أخرجت مفكرتى وقلمًا وبدأت أدون بسرعة جنونية ما يقال .. بدأ الطبيب الأسود يتكلم بتلك اللغة التى عرفت أنها الفرنسية .. قال بصوت غليظ بينما الألمانى ينقل ما يقول :

ـ « منذ البداية كنا نشعر بأن حادث السيارة لا يفسر كل

شىء .. هناك تدهور واضح فى ذاكرتك .. تدهور لا يبدو أنه ينوى التوقف عند حد معين .. وخطر لنا إنه من الصعب أن يكون كل شىء قد بدأ بعد الحادث .. لا بد أنه بدأ أثناء إجازتك فى ألمانيا ما دمت كنت بحالة طيبة عندما فارقتنا .. »

وبدأ يعد على أنامله :

ـ « هناك ضعف فى الذاكرة مع تدهور لغوى واضح .. لاحظ أنك فقدت اللغة الفرنسية بسهولة Aphasia .. ثم عجزت عن عمل يتطلب براعة يدوية محدودة مثل عقد خيط Apraxia .. دعك من عجزك عن تفسير المعلومات التى تقدمها لك الحواس Agnosia .. لاحظ عجزك عن تمييز العطور وأعتقد أن هناك مشكلة فى الأصوات أيضًا .. وهذا حدث تدريجيًا ، ومستمر فى التفاقم .. باختصار أنت تحقق أربعة شروط مهمة لتشخيص داء (ألزايمر Alzheimer) .. وكان يكفينا تدهور الذاكرة مع شرط واحد فقط .. أضف لهذا التدهور الملحوظ فى قدراتك العقلية وحفاظك على الشكل الاجتماعى .. إن الفراش المبلل ليس الطريقة الأفضل للظهور بشكل اجتماعى لائق .. »

ثم نظر إلى المرأة الشقراء التى ابتسمت ابتسامة كريهة صفراء وقال :

ـ « هنا تأتى نقطة أنك لم تشك فى ألمانيا من النسيان قط .. هذه هى شهادة فراو (شيفرن) .. معنى هذا أن الإصابة تمت فجأة .. هذا مستحيل .. هذا يدحض تشخيص (ألزايمر) من أساسه .. لذا استبعدنا هذا الاحتمال ورحنا نفتش ثانية عما فعله الحادث فى مخك .. لم نبدأ فى الشك إلا حينما قال لى زميلنا المصرى (علاء) إنك أرسلت لنفسك صورًا من ألمانيا .. صورًا أردت ألا تكون فى حاجياتك وألا يعثر عليها أحد .. معنى هذا أن تدهور الذاكرة بدأ هناك وهذا يجعل الأمر أكثر منطقية .. كان تدهور الذاكرة بسيطًا لكنك شعرت به واتخذت احتياطاتك .. أرسلت لنفسك المعلومات هنا على أن تلحق بك حينما تعود من الوطن .. وحينما عدت إلى (سافارى) كان الوقت قصيرًا .. أقصر من اللازم كى نلاحظ أية تغيرات طرأت عليك ، ولو خطر لنا إنك مريض لما سمح لك أحد بقيادة سيارة .. لكنك فعلت .. أعتقد هنا أن الحادث أدى إلى تفاقم فى صورة المرض وسرعة فى زحفه .. »

هنا توقف الطبيب الألمانى عن الترجمة والتفت ليسأل عن شىء بالفرنسية ، فأشار له الفرنسى أن يترجم ما يقول :

- « يقول د . (يورجين) إن فحوص المخ بالأشعة التى أجريت لك بعد الحادث ويوم السبت الماضى لم تجعلنا نرتاب فى شىء .. الحقيقة أنها جعلتنا نرتاب فعلاً .. فى إحدى قصص (شيرلوك هولمز) لم ينبح الكلب ليلاً .. وهذا كان مريبًا فى حد ذاته مما دفع (هولمز) إلى إجراء تحقيق .. وفحص المخ السليم الذى أجريناه لك قد جعلنا أقرب إلى القلق عليك .. لقد استبعدنا تمزقات المخ وكافة الأسباب العضوية القابلة للتفسير .. لا توجد طريقة لتشخيص داء (ألزايمر) إلا بتشريح المخ .. هذا مرض يتم تشخيصه باستبعاد الأمراض الأخرى .. كثيرًا ما تكون صور الأشعة عادية تمامًا كما هو الحال معك .. وهكذا يمكننى أن أقول بقلب مستريح إنك تعانى داء (ألزايمر) لكن لا أستطيع أن أقسم على هذا أمام أية محكمة .. »

ثم قال عن طريق المترجم بلهجة المحاضر كأنه يريد أن أعرف كل شىء عن هذا المرض :

- « إن داء (ألزايمر) هو السبب لنصف حالات فقدان الذاكرة فى العالم .. لا ننكر أننا نجهل الكثير عن أسبابه وبالتالى

نجهل الكثير عن طريقة علاجه المثلى .. تلك الألياف غريبة الأطوار التى تتكون فى المخ على شكل جدائل Neurofibrillar tangles والتى لا يعرف أحد من أين جاءت ولماذا .. ذلك الضمور المبهم فى الخلايا العصبية بالمخ .. إن المرض يهاجم الشيوخ ويصعب تفريقه عن (خرف الشيخوخة) المعروف .. لكنه كذلك يهاجم الشباب .. هناك حالات أصيبت بهذا المرض فى سن الثلاثين .. لقد بدت نوبات نسيان واضحة على الرئيس الأمريكى (ريجان Reagan) فى آخر رئاسته فى الثمانينات ، وكان يتوقف فى وسط الخطب عاجزًا عن استرجاع ما كان ينوى قوله .. »

ثم انتظر حتى فرغت من الكتابة .. وأردف :

- « المرض ينسب إلى العالم الألمانى .. مواطنكم (ألوا ألزايمر)(*) الذى وصفه عام 1907 .. إن (ألزايمر) واحد من أقطاب الطب النفسى وعلم الأمراض العصبية ، وقد ظل فترة طويلة مع قطب آخر مهم هو (نيسل Nissl) .. وكان الرجلان لا يفترقان تقريبًا .. يفحصان المرضى نهارًا وينحنيان على المجهر ليلاً .. وكلاهما كان يؤمن بأن الجنون والنسيان مرضان كيميائيان يمكن معرفة المسبب لهما ..

(*) حسب قواعد النطق الألمانى لابد أن يدعى المرض (ألتسايمر) لكن لم أسمع أجنبيًا قط ينطقه بهذا الشكل ..

ـ « لم يكن السيجار يفارق فم (ألزايمر) أبدًا بعد انتهاء محاضرته كنت تجد كومة من رماد السيجار جوار كل مجهر كان يجلس عليه طالب طب يتلقى العلم من هذا الرجل ..

ـ « كان قد وصف حالة امرأة لا تعانى خرف الشيخوخة لكنها بدأت تجد عسرًا بالغًا فى تذكر الماضى والأحداث القريبة والوجوه .. ثم صار انتقاؤها للكلمات أصعب .. وصار من العسير أن تذكر كيف تلبس ثيابها أو تغسل وجهها .. أضف لهذا بعض التصرفات الاجتماعية غير اللائقة .. وبعد موت المرأة وجد علامتين مهمتين : تلك الجدائل العصبية التى تكلمنا عنها ، والصفائح الضامرة التى لاتراها إلا لدى المسنين ، وبالطبع كانت المرأة شابة يستحيل أن تجد لديها شيئًا كهذا ، مع تحلل للشرايين الصغيرة فى المخ .. من هنا عرف العالم أنه أمام مرض جديد مخيف .. »

هنا سألت المرأة بحدة سؤالاً نقل لهم بالفرنسية :

ـ « بعد إذنكم لا يهمنى شىء فى هذه المحاضرة المطولة ما أريده هو الإجابة عن سؤال واحد : كم نتوقع لهذا المريض أن يعيش ؟ »

كان سؤالاً خشناً .. ما كان يجب لها أن تسأله أمامى .. وقد نظر لها الطبيب الإفريقى نظرة طويلة ثم قال :

ـ « لا أحد يقدر أن يجيب عن سؤال كهذا(**) .. »

ثم أضاف :

ـ « هناك حالة عدوانية تتزايد مع المرض كلما تقدم .. »

قالت بلهجة ذات معنى :

ـ « نعم .. سلنى عن ذلك ! »

ـ « ومع تقدم المرض يزداد الوقت الذى يمضيه المريض فى الفراش أو الجلوس .. »

عادت المرأة تقاطع هذا الشرح المستفيض :

ـ « والعلاج ؟ »

قال الطبيب الأسود فى حرج موجهًا كلامه لى :

ـ « يؤسفنى يا سيدى أنه لا يوجد علاج فعال لهذا المرض .. ما دمنا لا نعرف السبب فنحن لا نعرف العلاج .. هذا بديهى .. ولهذا تكلمت عن الموضوع بشىء من الاستفاضة

(**) من عامين إلى عشرين عامًا .. لكن اللطف منعه من ذكر هذا الرقم ..

لأضعك فى الصورة ، وأنا أعرف أنه كان بوسعك أن تعلمنى شيئًا جديدًا عن المرض لو كان هذا منذ عام واحد ، أما الآن فأعتقد أنك تحسبك لم تسمع بالاسم قط .. لكن بوسعنا أن نساعدك على التذكر نوعًا .. بوسعنا أن نبطئ عملية النسيان .. وهذا ما سوف نفعله بدءًا من الغد »

ثم نهض متأهبًا للرحيل مع الآخرين ، فاستوقفتهم المرأة التى تحمل بطاقة عليها (جرترود ـ زوجتى) وقالت بالألمانية :

ـ « لحظة .. لقد انتظرت حتى ينتهى هذا الهراء .. والآن أطلب تفسيرًا لما تقولون إنه خداعى لزوجى .. لماذا جئت من ألمانيا كل هذه المسافة كى أخدعه ؟ ولماذا أنقل له بيانات زائفة ؟ »

قال لها الطبيب الملتحى الشاب بعد ما فهم ما تقول :

ـ « (فراو شيفرن) .. نحن اعتمدنا بالكامل على كلامك من قبل .. قلت إن زوجك كان بخير تمامًا فى ألمانيا ثم اتضح أنه لم يكن كذلك .. لكن الدليل الذى لا يدحض هو أنك حولت محادثة يقول فيها د. (جابربيل) إنه يشك فى كون زوجك مصابًا بـ (الزايمر) إلى محادثة عن يأسنا من علاجه ورغبتنا فى الخلاص منه .. »

قالت فى تحد عن طريق المترجم :

ـ « وما مصلحتى فى ذلك ؟ »

ـ « لا نعرف . هذا شأن داخلى بينكما .. فقط نريد التـأكد من أن أستاذنا هذا يلقى المعاملة الطبيـة التى يحتـاج إليهـا والتى تليق به . »

قالت فى ثبات :

ـ « تأكد يا سيدى من أنك ستدفع ثمن كل كلمـة سخيفة تلفظت بها الآن .. لكن الحين ليس حين الحسـاب .. وكما يقولون : أعطنى يومًا أنعى فيه قتلاى ثم انتظرنى ! »

* * *

السبت نوفمبر 2 :

جاءنى اليوم طبيب أسود البشرة يبدو أنه يعمل فى الأمـراض العصبية .. اسمه (جابربيل) .. قال إنه يعالجنى من ذلـك المرض الذى أصابنى والذى يزعم أن اسمه (ألزايمـر) .. كان معه طبيب ألمـانى يتولى الترجمة من لغة الأول التـى أعتقد أنها الفرنسية .. قال لى :

ـ « المهم الآن أن نرتب عودتك إلى ألمانيا لأن الإمكانيات

هناك أفضل .. يجب أن تقيم فى مكان مخصص للمرضى المسنين المصابين بفقدان الذاكرة .. هناك عقاقير سوف تتعاطاها ضد الاكتئاب .. سوف يكون هناك علاج للتحكم فى المثانة والمستقيم .. تمرينات للذاكرة .. إلخ .. »

ثم أخرج بعض علب الدواء وقال :

ـ « يستدعى الأمر أن نلاحظ تحسن حالتك كل ثلاثة أشهر .. سوف نستخدم معك (الأريسيبت Arecept) .. لو بدأ التحسن فهذا سيكون خلال بضعة أسابيع .. سوف يسبب لك بعض الصداع والغثيان .. إنه من العقاقير المثبطة لإنزيم (الكولين إستريز) لذا يجب أن تتوقع بعض المضاعفات المعروفة لهذه العقاقير .. »

طبعًا لم أكن أعرف حرفًا عن (المضاعفات المعروفة لهذه العقاقير) .. لذا سألته عما لى أن أتوقع فقال :

ـ « جفاف الريق .. ربما احتباس بول بسيط .. علينا أن ندفع الثمن إذا أردنا علاجًا ناجعًا »

ثم ناولنى علبة أخرى وقال :

ـ « هذا العقار ينتمى لأسرة أخرى .. اسمه (ناميدا Nameda) .. وهو يقى من انتقال الجلوتامات فى المخ كموصل

عصبى .. الجلوتامات تسرع من موت خلايا المخ .. ربما يسبب لك بعض الدوار والصداع كذلك .. »

وأخرج ورقًا لاصقًا من جيبه ولف كل علبة بورقة بيضاء عليها اسم العقار وطريقة تعاطيه .. قال لى همسًا :

ـ « سوف تتأكد الممرضة من تعاطيك الدواء فى وقته .. لكن لا أضمن شيئًا .. إن زوجتك فعلت ما بوسعها كى تفقد ثقتنا بها .. »

قلت فى دهشة :

ـ « زوجة ؟ هل أنا متزوج ؟ »

ـ « للأسف نعم .. وللأسف أنا لا أستطيع أن أثق بها فى موضوع تعاطيك الدواء لذا طلبت الممرضة .. لكن يجب ترتيب موعد عودتك إلى ألمانيا بأسرع وقت ممكن .. »

سأله الطبيب الألمانى سؤالاً بالفرنسية فرد عليه .. ثم التفت لى قائلاً :

ـ « يوصيك بالكثير من البهارات فى الطعام .. إن طعام الهنود قد أثار انتباه العلماء لأن مرض (ألزايمر) يوشك على أن يكون منعدمًا فى الهند .. يبدو أن التوابل تؤدى دورًا مهمًا هنا .. على كل يوشك مرض (ألزايمر) أن

يكون مرضًا للعالم الغربى .. لا نعرف السبب يقينًا وربما كنا نتوهم ذلك .. إن العالم الشرقى يموت أفراده فى سن أقل ، ولربما لو عاشوا أطول لأصابهم هذا الداء .. »

مددت يدى إلى الدرج فوجدت صورة امرأة شقراء ومراهقة حسناء .. هناك سهم فوق رأس المرأة بقلم (فلوماستر) أسود مع اسم (جرترود) .. والمراهقة يشير السهم إلى أنها (مارتا) .. ثم التعليق يقول : « زوجتك وابنتك » ..

هنا سألته وأنا أعرض عليه الصورة :

ـ « هذه ابنتى .. لا أعرفها لكن الصورة تؤكد أنها ابنتى .. هل من خطر عليها ؟ »

قال الطبيب الأفريقى فى كياسة :

« بأمانة .. لا نعرف .. بعض الناس لديهم خلل معين فى الكرموزوم chromosome رقم 14 و21 وهذا يؤدى إلى بدء داء (ألزايمر) فى سن مبكرة نسبيًا .. هؤلاء التعساء الذين يصابون بالمرض فى الخامسة والثلاثين من عمرهم .. ثمة بروتين معين ـ لن أذكر اسمه منعًا للتعقيد ـ يسبب هذا المرض لو وجدته عندك .. باختصار .. لابد من فحص كروموزومات ابنتك بعناية قبل أن نؤكد أو ننفى .. »

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

ذلك الرجل يدنو منى فى شارع مزدحم من (فرانكفورت) .. يهمس فى أذنى :

ـ «نحن متفاهمان .. ثق بنا ولن تندم .. حاول أن تخدعنا ولسوف تدفع ثمنًا باهظًا .. ربما لن تدفعه أنت .. ربما أسرتك .. »

وقبل أن أرد عليه يتوارى فى الزحام .. دعك من التهديدات الهاتفية .. لقد صار الأمر خطيرًا ..

★ ★ ★

أنا أمشى فى الحديقة ليلاً ..

جميلة هذه الأشجار .. الإضاءة تغمرها فتجعلها كأنها جاءت من أرض الأحلام ..

هناك عصفور اتخذ عشًا على أحد الغصون .. قررت أن أتسلق الشجرة لأمسك به .. هذا لن يكون سهلاً لأن ذراعى ليس على ما يرام ، لذا رحت أتمسك بالجذع الغليظ وأحاول .. أحاول .. وفى كل مرة أنزلق لأسفل .. تمزق الخف البلاستيكى الذى كان فى قدمى .. قررت أن أغرد كالعصفورة كى أجذب انتباهه ..

صو صو صو ! هلم يا أحمق تعال إلى ..

كنت أحاول تسلق الشجرة وفى الآن ذاته أغرد .. ولم أعرف أن هناك عددًا لا بأس به من العاملين توقف ليحيط بى .. البعض يضحك .. والبعض مندهش ..

وفى النهاية شعرت بيد قوية تعتصرنى من الخلف وتنزلنى قهرًا ..

صحت فى غضب :

ـ « دعنى .. كيف تجرؤ على هذا أيها الحيوان ؟ »

لكنه كان يتكلم بالفرنسية وهو يجرنى إلى الوراء .. كان يلبس ثيابًا زرقاء يبدو أنها تخص رجال الأمن .. ولم أدر متى ولا كيف ظهرت ممرضة اقتادتنى عائدة بى إلى غرفتى ..

كدت ألومها على ..

ثم تذكرت أننى نسيت على أى شىء ألومها ..
هكذا انفجرت فى الضحك وغرقت فى نوم عميق ..

* * *

الأحد نوفمبر 3 :

عندما تنقلب السيارة للمرة الثالثة تنفتح الأبواب وتقذف (أنا) منها .. هناك حقيبة أوراق تتبعثر فى كل صوب .. وأنت تتدحرج على الأرض فى حركة بهلوانية فريدة .. لم تر كثيرين يقومون بها بكامل إرادتهم .. يبدو أن هذا منحدر .. يبدو أن هناك نباتات شوكية .. يبدو أن هناك شجرة فى نهاية الطريق الذى يشقه جسدك ، وأنت من اللحظة لم تعد صاحب الأمر هنا بالنسبة لجسدك .. صاحب الأمر الآن هو قوانين الجاذبية ..

هذه المرأة زوجتى ؟ غريب هذا .. أنا لا أحب الشقراوات .. اسمى (هانز شيفرن) .. عالم فى المناعة .. غريب هذا أيضًا .. أنا لا أعرف أصلاً ما معنى كلمة مناعة .. هذه وحدة علاجية تدعى (سافارى) .. أنا فى الكاميرون .. أنا الآن فى غرفتى التى أبيت فيها فى الوحدة .. هذا هو كل ما أعرفه عن نفسى ..

أفتح درج الكومود . فأجد ورقة صغيرة تقول : 312JKL789 .. ما معنى هذا ؟ على الورقة من الجهة الأخرى كتابة تقول (عند شيكو) ..

أفتح درج الكومود .. أتأمل علب أقراص كتب عليها بخط اليد : أريسبت وناميدا ، وأفكر .. واضح أننى مريض وأننى أتلقى علاجًا .. أقلب صفحات الكراس .. هذا مرض اسمه (ألزايمر) .. لا أعرف عنه الكثير .. ربما كان ما حدث لى

مضاعفات لهذين العقارين .. هناك أدوية تسبب الكوابيس .. لا أحتاج لذاكرة قوية كى أتذكر هذا ..

أتجه إلى الحمام لأفرغ مثانتى ..

تصحو تلك المرأة الشقراء من نومها .. ترانى أفعل فتصرخ فى هلع :

ـ « يا لك من مجنون ! ليس هنا !! »

لا أفهم ماذا تريده هذه المرأة .. آمرها أن تصمت وأواصل العملية شاعرًا بالنشوة لخلاصى من كل هذا الحمل من الماء ..

ـ « أيها القذر ! هذا ليس الحمام ! أنت فى ركن الغرفة ! »

ـ « أية غرفة ؟ »

ـ « الغرفة التى تنام فيها !! »

لا أفهم ما تريد قوله .. إن النساء ثرثارات بطبعهن .. لكن إذا كانت قلقة فلنطلب من ينظف هذا .. هناك لافتة كتب عليها (أطلب ماجدا) .. لا أعرف من كتب هذا ..

تحضر عاملة سوداء لم أرها قط لتنظف الغرفة .. لم يبد عليها أنها تهتم بما رأته على الإطلاق .. لكنها قالت لى حينما شعرت أن الشقراء لا تسمعها :

ـ « هر بروفسور .. زوجى مريض جدًا .. لو سمحت لى ببعض المال .. »

نظرت لها فى حيرة .. ما معنى المال ؟ هل هو دواء مثلاً ؟ لماذا تريده بهذا الإلحاح ؟

كانت المرأة الشقراء تصرخ فى عصبية :

ـ « لم أعد أتحمل هذا .. سأعود إلى ألمانيا وأطلب الطلاق . هذا من حقى قانونًا .. لايكلمننى أحدهم عن الرأفة والمعاملة الإنسانية .. فلست مرغمة على تحمل زوج يبول فى غرفة نومى كل يوم ! »

عم تتكلم ؟ هذه المرأة متزوجة من رجل خنزير على ما يبدو .. مسكينة ..

هناك شارة تعريف على صدرها .. هذه الشارة تقول إنها (جرترود ـ زوجتى) .. من كتب هذا ؟

تغادر الغرفة فتحين منى لمحة إلى البساط .. هناك تحته مجموعة من الصور الفوتوغرافية .. إحدى الصور عليها (قذرة) .. إنها المرأة ذاتها على ما أعتقد ..

* * *

عند الظهيرة أتى طبيب شاب ملتح يحمل بطاقة تعريف تقول إنه (د . عبد العظيم ع .) .. معه طبيب ألمانى شاب يبدو أنه يقوم بالترجمة ..

دارت محادثة طويلة بينه وبين المرأة الشقراء .. قالت له فى عصبية :

- « انتهى الأمر بالنسبة لى .. إن المحامى سيتولى الأمر .. »

نقل له الطبيب الألمانى هذا ، فقال بلغة لا أعرفها .. ما عرفت ترجمته :

- « (ليس على المريض حرج) .. وزوجك مريض .. على كل حال أنا لن أتدخل فى هذه الأمور بينكما .. هل لديك ورقة وشريط لاصق ؟ »

- « نعم .. »

تناول الورقة واتجه إلى باب الحمام فعلقها عليه ثم أخرج قلمًا غليظًا من جيبه وخط على الورقة بحروف عملاقة : WC .. وابتسم قائلاً :

- « هكذا لن يخطئ المكان أبدًا .. كان رئيس وزراء إنجلترا Winton Churchil يفخر بأن الحرفين الأولين من

اسمه موجودان فى كل مكان علم فى العالم ، وأنهما يمثلان النجدة لكل ملهوف ! والآن نعود لزوجك .. .. هل تناول الأدوية كلها ؟ »

قالت وهى تجوب الغرفة كنمر حبيس :

ـ « تناولها .. ومن الواضح إنه لن يشفى .. لن يشفى أبدًا .. »

ـ « لاحظى أننا نتكلم بعد يوم واحد من تعاطى الدواء .. على كل حال يجب أن ترتبى للعودة إلى ألمانيا بأسرع وقت ، فليست لدينا هنا الخبرات ولا الإمكانيات لعلاجه .. »

ـ « واضح ! »

ثم قالت وهى تقف ناظرة عبر باب الغرفة المفتوح :

ـ « ثق أننى أريد العودة بأسرع مما تتصور .. لكن ليس للأسباب ذاتها !! »

حرك قدميه بنوع من العصبية وبدا أنه يريد أن يقول شيئًا .. ثم لاحظ شيئًا .. نظرت إلى ما ينظر إليه فرأيت أن طرف الصور تحت البساط صار فى مجال بصره .. من وضع هذه الصور هنا ؟ مد يده إليها وأخرجها وهو ما زال منحنيًا ، ثم

رأيته يضعها أمام صديقه الألمانى .. هز الألمانى رأسه من ثمَّ أعاد الشاب الصور إلى مكانها ..

قال لها الطبيب الشاب الملتحى عبر المترجم :

ـ « لاحظت إنك لا تريدين أبدًا أن نجتمع بزوجك على انفراد .. »

قالت فى عصبية وهى تركل الباب :

ـ « لماذا ؟ ألا تلاحظ أيها الشاب أنك تفرط فى التدخل فى أمورى الشخصية ؟ ولكن .. ليكن خذ راحتك حتى النهاية .. »

ومن دون كلمة أخرى ركلت الباب بعنف لتغلقه وراءها ..

لقد انصرفت ..

على الفور وثب الطبيب الشاب الملتحى .. اندفع جريًا نحو خزانة الثياب وفتحها .. صحت معترضًا ، لكن الطبيب الألمانى رفع يده ليهدئنى وقال :

ـ « ثق إن هذا كله من أجل مصلحتك يا دكتور .. أرجو أن تدعنا نتصرف .. »

كان الطبيب الأول يفتش خزانة الثياب بعناية ، ثم اتجه إلى الدرج بجوارى فسحبه .. أخرج قصاصة ورق كتب

عليها : 312JKL789 .. على الورقة من الجهة الأخـرى كتابة تقول (عند شيكو) ..

ثم مد يده تحت البساط وراح يبحث بين الصور ثم أخرج تلك الوريقة التى كتب عليها : (الحاسب الآلى) ..

قال لى عن طريق المترجم :

ـ « ثمة أشياء غريبة .. ما أهمية أن ترسل لنفسك هذه القصاصة من ألمانيا ؟ »

ثم فكر قليلاً وأضاف :

ـ « من هو (شيكو) ؟ »

هززت رأسى .. فأنا لم أر هذه الوريقات من قبل ..

نظر إلى الورقة المعلقة بجوار الجرس وتساءل : (أطلب ماجدا) .. (ماجدا) هى عاملة النظافة هنا .. أليس كذلك ؟

ـ « لا أعرف .. »

هنا مد يده يضغط الجرس ..

بعد ثوان دق الباب ورأيت امرأة سوداء لم أرها من قبل .. يبدو أنها عاملة نظافة هنا ..

لما رأت الطبيبين بدا عليها الارتباك ، ودارت محادثة بلغة لا أعرفها .. لابد أنها الفرنسية على الأرجح .. قالت بعض أشياء وأشارت إلى الخارج فتبادل الطبيبان النظرات ..

أخيرًا نهض الشاب الملتحى معلنًا أن هذا كاف اليوم ..

* * *

الجمعة نوفمبر 8 :

هناك ورقة على باب ما تقول WC .. ما معنى هذا ؟ لابد أنها غرفة شخص يحمل هذا الاسم الغريب .. دققت الباب مرتين فلم يرد أحد .. لابد أن WC نائم أو بالخارج ..

لافته تقول (أطلب ماجدا) .. من هى (ماجدا) ولماذا أطلبها ؟ لا أعرف ..

دق الباب .. هناك ممرضة آسيوية تحمل كوبًا ورقيًا من الماء .. هذه الملامح آسيوية بلا جدال .. سألتها باسمًا :

ـ « هل أنت (ماجدا) ؟ »

ضحكت وتكلمت بتلك اللغة العجيبة التى لا أفهمها .. ثم

اتجهت إلى أدراجى وأخرجت نوعين مـن الأدويـة ونـاولتنى إياهما .. لا أعرف ما هذا الدواء فأنـا لست مريضًا .. من قال هذا ؟

* * *

رؤيا لا أفهمها لكنها تطاردنى بإلحاح ..

ذلك الرجل يدنو منى فى شارع مزدحم من (فرانكفورت) .. يهمس فى أذنى :

ـ « نحن متفاهمان .. ثـق بنـا ولـن تندم .. حـاول أن تخدعنـا ولسوف تدفـع ثمنًـا باهظًـا .. ربمـا لـن تدفعه أنت .. ربمـا أسرتك .. »

وقبل أن أرد عليه يتوارى فى الزحام ..

* * *

هنـاك امرأة شقراء تضع على صدرها لافتــه تقـول : (جرترود ـ زوجتى) .. زوجة من ؟ هل هـى زوجتـى أنـا ؟ مستحيل .. أنا مولع بالسمراوات أو هذا مـا أعتقده .. إنهـا تحتسـى القهوة وتنظر خـارج النـافذة فى عصبيـة .. هـذه المرأة متضايقة ولا أعرف السبب ..

كانت هناك صينية عليها بقايا خبز وشيكولاتة معجونة فى صحن صغير .. كم أتوق لتجربة هذه الشيكولاتة .. كنت وأنا طفل أهوى أن أمسح بها وجهى .. ما هذا ؟ هل أنا كنت طفلاً ؟ لا أظن هذا لكنى ما زلت أتوق إلى تجربة هذا الشىء .. سنضحك كثيرًا ..

مددت يدى وغرست أصابعى فى الشيكولاتة ثم مسحتها فى خدى ثم أنفى .. على صوت صراخ تلك المرأة الشقراء :

ـ « ماذا تفعل أيها المخبول ؟!! »

رحت أضحك فلما دنت منى محاولة منعى ، رحت أمسح كفى فى وجهها وأنا أقهقه .. هنا فقط لم تتحمل أكثر وجلست على الأرض وهى تبكى بلا انقطاع ..

ـ « مجنون ! أنت مجنون ! لقد انتهى أمرك ! »

ثم نهضت فى جنون وراحت تغسل وجهها ، وخلال ثوان كانت قد جمعت كل ثيابها فى حقيبتها .. وخرجت من الباب ..

ولم أرها بعد هذا قط أو هذا ما أذكره ..

* * *

الاحد نوفمبر 10 :

كان الطبيب الأسود الذى عرفت أنه يعالج حالتى يدعى (جابرييل) .. هذا هو ما كتب على صدره .. وكنت أرقد على منضدة فحص فى مكتبه، وجواره جلس رجل بدين قيل لى إنه مدير المكان .. اسمه (بارتلييه) .. (موريس بارتلييه) .. والمكان نفسه يدعى (سافارى) .. غريب هذا ! كنت أحسب أن لفظة (سافارى) تعنى دائماً صيد الوحـ .. لا .. لا أعرف ما تعنيه .. لقد نسيت .. وكان هناك طبيب شاب ألمانى يبدو أنه مكلف بالترجمة ..

قال لى الطبيب أسود البشرة :

ـ « يؤسفنى يا سيدى أن زوجتك رحلت .. نسمع عن هذا الوضع كثيراً مع مرضى (ألزايمر) .. قالت إنها ستطلب الطلاق على أساس حالتك العقلية .. »

مقاطعًا قلت :

ـ « متزوج ؟ أنا غير متزوج .. »

واصل الكلام بلا تعليق :

ـ « يؤسفنى كذلك أن العلاج الذى كتبته لك لم يحدث أى فارق .. إن حالتك تتدهور بسرعة .. يبدو أن علينا أن نغير

سياستنا .. لقد اتصل بروفسور (بارتلييه) بالملحق الصحى لبلادكم وسوف يتم نقلكم إلى هناك بأقصى سرعة .. »

كنت أنا قد بدأت أنشغل .. ففككت حذائى ونزعت جوربى . ثم وضعت قدمى على المقعد :

لماذا يبدو إصبع القدم الكبيرة عملاقًا مسودًا بهذا الشكل ؟ ترى هل القدم الأخرى لها ذات المنظر الغريب ؟ هكذا فككت الحذاء الآخر ورحت أتأمل قدمى .. ثم رفعت عينى نحوهم فوجدتهم جميعًا ينظرون لى فى مزيج من الذهول والحسرة والحيرة .. ماذا دهاهم ؟

هنا سمعت حركة ثم دخل الغرفة طبيب شاب ملتح .. أعرف هذه الملامح .. لابد أنه عربى .. هذا واضح .. الاسم على البطاقة التى على صدره يقول : (عبد العظيم ع .) ..

إنه يتبادل التحية مع الجالسين ثم يسألنى بالألمانية وهو يضحك فى مودة :

ـ « فى جتس إتن ما ينى بروفيسور ؟ »

بلهجة رديئة جدًا .. واضح أن هناك من لقنها له تلقينًا .. الطبيب الألمانى الشاب يصحح له :

ـ « ما ين .. »

ـ « ما ين بروفسور .. »

ثم تبادل حوارًا بلغة لا أعرفها مع الرجلين .. وأخرج من جيبه علبًا لفت حول كل منها ورقة بيضاء .. ووضع بعض الأقراص على كفه .. فبدا عليهم الذهول ..

ملت على الطبيب الألمانى وسألته :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

قال لى وعيناه لا تفارقان المشهد :

ـ « يبدو أن ما فى علب دوائك لم يكـن هو مـا كتبنـاه .. هناك من بدل الأقراص وطبعًا الممرضة لا يعنيها إلا ما كتب على العلبة .. لقد كـان خطأ فادحًا أن نـترك العلاج معك ، لكنهم يعالجونك بصفة غير رسمية .. ما زلت أقرب لطبيب يعمل فى الوحدة منك إلى مريض فيها ، ولم نسجلك ضمن جداول العلاج هنا . فهم ينتظرون عودتك إلى ألمانيا بفـارغ الصبر .. النتيجـة هى أن أحدهم ـ والغـالب على الظن أنـه زوجتك ـ قد بدل الأقراص كى لا تظفر بالشفاء .. »

سألته وأنا أتابع محادثة الرجال المتوترة :

ـ « وكيف عرفوا هذا ؟ »

- « إنه فضول د. (عبد العظيم) .. لقد لاحظ أنك لا تتحسن ذرة واحدة .. من ثم انتهز فرصة رحيل زوجك وتفقد علب الدواء، وهو لا يعرف نوعية الحبوب الموجودة لكنه متأكد من أنها ليست (أريسبت) ولا (ناميدا) .. »

هنا تدخل الطبيب الأسود وقال عن طريق المترجم وهو ينظر إلى :

- « هكذا سوف نبدأ من جديد يا دكتور .. يصعب علينا أن نوجه الاهتمام لزوجتك من هنا، لكننا سنطلب التحقيق فى الأمر .. »

وقال الطبيب الشاب الملتحى شيئًا فقال المترجم :

- « يقول إنه لو كانت لهذا الوضع مزية فهى إن الأمل لم يضع بعد .. »

* * *

الثلاثاء نوفمبر 19 :

عندما ينفتح الباب وتجد أنك تتدحرج عبر ذلك الطريق تحاول جاهداً ألا يتحطم عنقك .. هناك تلتقط أنفاسك الأخيرة عالمًا أنها آخر أنفاس لك .. ترى السماء من وضع لم تعتده من قبل .. إطار سيارة يتدحرج معك محاولاً أن يسبقك ..

تصحو لاهثًا وقد شعرت بالرضا لأنك حى .. ولكن .. أين أنت ؟ من أنت ؟ من هذا ؟

من ذلك الرجل الذى يقف أمامك وقد ثبت عنقك ليلتصق بالوسادة ؟؟ أنت لا تستطيع النهوض .. توشك على الصراخ لكنه يضغط أكثر :

ـ « لاتحاول أن تحدث جلبة .. لقد حاولنا أن نصبر أكثر مما تحلم أنت ، لكن الأمر ليس مزاحًا على الإطلاق .. إن هؤلاء القوم لايمزحون .. أنت تحاول أن تلعب بالنار يا صاحبى .. »

حاولت أن أتكلم فلم يخرج إلا صوت مبحوح واهن ..

فك قبضته قليلاً ليسمح للهواء بأن يرتج فى حنجرتى وقال :

ـ « أين الملف الأصلى ؟ ذهبت إلى (شيكو) لكنهم لم يجدوا شيئًا .. »

رجـل أوروبى هو .. غليظ الصوت والنظرات والجسد .. يتكلم الألمانية بطلاقة ..

قلت له فى صدق :

ـ « أنا لم أرك قط .. عم تتحدث بالضبط ؟ » :

قال وهو يعاود الضغط :

ـ « لعبة فقدان الذاكرة من جديد .. اسمع .. أنا لا أصدق هذا الهراء حتى لو كنت قد تحولت إلى معتوه فإن الملف موجود ولسوف يجده أحدهم .. لماذا لا تتكلم وترحم نفسك وترحمنا جميعًا .. ؟ »

وعاد يكرر وهو يهزنى بعنف :

ـ « هؤلاء القوم لا يمزحون .. قلت لك هذا مرارًا .. »

(أطلب ماجدا) .. أرى اللافتة جوار الجرس .. من هى (ماجدا) ؟ لابد أن الحل يكمن فى هذا .. هكذا رفعت إصبعًا مرتجفًا بعيدًا عن مجال بصره وضغطت على الـزر .. وكـان الرجل يحاول أن يفهم ما قمت به عندما انفتح الباب وظهرت امرأة سوداء لم أرها قط .. كانت تقول باسمة :

ـ « ماذا تريد يا بروفسور ؟ إننى .. »

عندما رأت هذا الوغد الذى ينحنى على فراشى كـان أول مـا فعلتـه أن فتحت فاهـا وتحـول فمهـا إلـى ســرينة إنــذار حمراء وسط السواد .. إى ى ى ى ى ى ى !!

اندفع الرجل ـ الذى لم يدر ما يجب القيام به ـ نحوها ودفعهـا لتسقط أرضًا ، ثم غاب فى فتحة الباب .. والغريب أنها ظلت تصرخ بلا انقطاع ..

أخيرًا ظهر حشد مـن القوم مـن كل مكان .. ومـن بين هؤلاء رأيت رجلاً يلبس الأزرق يبدو أنه رجل أمن أو شىء من هذا القبيل ..

سألنى عن شىء ما بتلك اللغة فلم أفهم ..

ومن وسط القوم المتزاحمين فى الغرفة برز طبيب ألمانى شاب سألنى بالألمانية عمـا حدث ، فقلت لـه إننـى لا أذكـر بالضبط .. قال لى فى شك :

ـ « العاملة تقول إن هناك رجلاً كان يحاول خنقك ، وإنك دققت الجرس .. »

هنـا تذكـرت .. هززت رأسـى موافقًـا .. ودنـا منـه رجـل الأمن وسأله عن بضعة أمور لم أفهمها فهـز رأسـه نفيًـا .. قال لى مفسرًا :

- « يريدون أخذ أقوالك .. لكنى قلت إن هذا ليس بوسعك .. كل ما نستطيع عمله هو أخذ أقوال العاملة .. »

هززت رأسى محاولاً فهم ما يعنيه ..

كان الزحام شديدًا وأنا أشعر برغبة عاتية فى إفراغ المثانة .. هكذا نهضت وسط صفوفهم المندهشة .. هناك لافتة بباب كتب عليها WC .. لابد أن هذا هو المكان المختار .. فتحت الباب ودخلت ..

عندما خرجت كانت الغرفة شبه خالية .. فقط كان الطبيب الألمانى هناك والعاملة .. قالت لى العاملة وهى تجفف دموعها :

- « سأذهب الآن يا دكتور .. من حسن الحظ إننى دخلت فى هذه اللحظة بالذات .. بالمناسبة زوجى مريض جدًا وفكرت فى أن كرمك قد .. »

نظر لها الطبيب الألمانى محتجًا وقال شيئًا ما بتلك اللغة الغريبة ..

غريب هذا ! هذا الموقف يبدو مألوفًا .. لقد عشت هذه اللحظات عدة مرات ..

قلت لها شاردًا :

ـ « اسمعى .. أنت طلبت منى الطلب ذاتـه فـى كل مرة تأتين لهذه الغرفة !! ألا يشفى زوجك أبدًا ؟ »

ثم تذكرت شيئًا فأضفت :

ـ « أم أنكِ غير متزوجة أصلاً ؟ »

نظرت لـى فـى حيرة ثم حملت مكنستها وسلة الثيـاب وكادت تغادر الغرفة .. لولا أن استوقفها ذلك الطبيب الشـاب الملتحى .. اسمه (عبد العظيم ع .) .. هذا هو المدون على صدره .. لا بد أنه عربى أو باكستانى .. كان قادمًا لغرفتى فرآها تخرج من ثم قبض علـى معصمها بحركـة عفويـة واقتادها للداخل من جديد .. ولم تبد هى اعتراضًا ..

قال لى عن طريق المترجم :

ـ « واضح ياسيدى أن هناك لغزًا كان يسيطر على حياتك قبل الحادث .. لا نعرف ولا أعتقد أنك تعرف سبب هذا الهجوم عليك .. لكننـى ميال إلـى ربطـه بموضـوع حـادث السيارة المدبر . »

قلت له فى حيرة :

ـ « أى حادث سيارة ؟ »

لم يعلق .. اتجه إلى البساط جوار الفراش وقلبه ليخرج من تحته عدة صور وقصاصة ورق .. من وضع هذه الأشياء هنا ؟ رفع إحدى الصور لأراها بوضوح وقال :

ـ « هذه صورة زوجتك .. وقد كتبت تحتها (قذرة) لتذكر نفسك .. لماذا هى قذرة ؟ لا أعرف .. »

ثم أخرج صورة أخرى تمثل قومًا جالسين فى مؤتمر ما وأنا بينهم ، وقال :

ـ « أنت لا تذكر أيًا من هذه الوجوه .. لكنك كتبت على الصورة (لا تثق بواحد منهم ..) . ثم أشرت إلى أحدهم وكتبت (هددنى بسكين) .. فهل هذا هو الرجل الذى كان فى غرفتك ؟ »

ثم وضع الصورة تحت أنف (ماجدا) فتأملتها بعمق ثم قالت بتلك اللغة ما عرفت فيما بعد معناه : لا أستطيع أن أؤكد .. لقد رأيته لربع ثانية ثم فر ..

نظر الطبيب الألمانى بدوره إلى الصورة ثم هتف :

ـ « أحد هؤلاء .. الثانى من اليمين هو (دانييل جوبارت) .. إنه كان من تلاميذك فى مختبر المناعة وقد طردته منذ

ستة أشهر .. لابد أن هذه الصورة التقطت فى (فيينا) فى مؤتمر الإيدز الذى أقيم هناك منذ عام .. لقد ذهبت إليه ومعك ثلاثة من فريق المختبر .. »

قال د . (عبد العظيم) :

ـ « حسن .. هناك من يهددك وحاول التخلص من حياتك .. وهذا الرجل كان ضمن فريق المناعة الخاص بك .. نصحت نفسك بألا تثق بهم .. تأمر نفسك بألا تثق بزوجتك لأنها (قذرة) وبعد هذا نراها تكذب عليك وعلينا .. ولعلها المتهم الوحيد باستبدال أقراص العلاج .. الاترى معى أن رائحة هذا كله عفنة ؟ عفنة أكثر مما يمكن فهمه ؟ »

قلت وأنا أتحسس رأسى :

ـ « لا أفهم شيئاً أيها الشاب .. ليت بوسعى أن أعاونك .. »

هز رأسه ثم أمر العاملة بالانصراف ..

وقال لى وهو يجمع ما وجدناه تحت السجادة :

ـ « بعد إذنك .. كنت أرى من اللياقة أن أترك هذه الأشياء حيث وضعتها أنت ، لكنى الآن أرى أنه من الأفضل لك أن أحتفظ بها معى .. »

لم أعلق .. فلا فكرة لدى عن الموضوع على الإطلاق ..

قال الطبيب الألمانى وهو يغادر الحجرة معه :

- « لقد قرر رجال الأمن وضع حراسة دائمة على غرفتك .. لا نعرف ما قد يحدث .. »

* * *

الخميس نوفمبر 28 :

لقد قدت سيارتى (ستروين) مندفعًا عبر الطرقات المتعرجة .. من يعرفوننى عرفوا إننى متجه إلى (أنجاونديرى) .. هذا ما قلته ..

لكنى كنت متجهًا إلى طريق وعر بعيد .. ضللت طريقى عدة مرات لأننى فقدت حاسة الاتجاه ضمن ما فقدت .. هناك ذلك الكوخ الصغير الذى يقدم المشروبات والطعام .. وعليه لافتة كبيرة عليها (عند شيكو) .. (شيكو) وغد قذر الرائحة والثياب والأفكار .. يستقبلك على الباب متوددًا مداهنًا ..

تقف جوار السيارة فيقول لك :

- « دعك منها يا (هر بروفيسور) .. لا تقلق بتاتًا .. لو خدشها أحد هؤلاء الصبية فعندها .. »

ويشير بعلامة الذبح إلى عنقه ..

تدخل الكوخ حيث مجموعة مـن مقاعد الخوص وجهاز تلفزيون وثلاجـة .. هنـاك رجـال أوروبيون يجلسون حـول منضدة عليها دلو ثلـج وبعض زجاجات الشراب .. الكثير جدًا من علب التبغ والقداحات .. أنت تعرفهم لكنك لم تعد تذكر أى اسم فيهم .. أحدهمـا ينهض مغادرًا المكان بينما يقول لك أحدهم :

ـ « تكلم ولا تخش شيئًا .. نحن نثق فى (شيكو) .. كل أسرارنا عنده .. »

عندها تجلس وتضم كفيك وتنظر لهم فى ثبات .. ثم تقول :

ـ « جئت يا سادة كل هذه المسافة كـى أبلغكم رفضـى .. لن أعمل معكم ! »



تقول لى وهى تغلق الباب كى لا يسمعها أحد :

ـ « اسمع .. أنت تعرف كل شىء فلا داعى للتظاهر بالعكس .. كف عن الصراخ واسمعنى .. لم يعد ثمة شىء يربط بيننا ..

نحن منفصلان منذ أعوام عديدة .. لكنى لن أرحل بهذه السهولة .. يجب أن أحصل على شرط أفضل لهذا الرحيل .. »

★ ★ ★

لافته تقول (أطلب ماجدا) .. من هى (ماجدا) ولماذا أطلبها ؟ لا أعرف ..

يدق الباب .. هناك ممرضة آسيوية تحمل كوبًا ورقيًا من الماء على صينية .. هذه الملامح آسيوية بلاجدال .. سألتها باسمًا :

- « هل أنت (ماجدا) ؟ »

ضحكت وقالت بالفرنسية :

- « لا يا دكتور .. (ماجدا) اسم شائع هنا لكن ليس بين من لهم لون بشرتى »

وتناولت من الصينية نوعين من الأدوية وناولتنى إياهما .. لا أعرف ما هذا الدواء فأنا لست مريضًا .. لكن على كل حال ..

يدخل على ذلك الطبيب الملتحى الذى أعتقد أن اسمه (عبد العظيم) .. هذه الملامح العربية لايمكن أن تخطئها العين .. معه مجموعة من أوراق تحت إبطه :

يقول لى باسمًا :

ـ « يبدو لى أن الحال يتحسن يا دكتور .. نظراتك صارت تتكلم .. لم تعد تائهة .. بالمناسبة أجرى المدير كل الاتصالات مع ملحقكم الصحى وسوف تكون فى الوطن خلال عشرة أيام .. »

لم أعد أحتاج إلى مترجم .. منذ أيام صرت أتذكر أكثر تلك اللغة الفرنسية .. لكن ما زلت أنسى الكثير من الأشياء .. فجوات وفجوات فى عقلى .. وهى تبدل موضـعها كالبقـع الشمسـية .. قد أذكر اسـم هذا الفتى الآن ثم أنساه بعد ربع ساعة .. لا يوجد ضمان ..

قال لى وهو يضع الأوراق على الفراش :

ـ « هى ذى مذكراتك ! »

نظرت له مذهولاً .. أنا كنت أكتب مذكرات ؟ متى ؟ وكيف وجدها ؟

أخرج لى ورقة تبدو كأنها رجل سقط فى هاوية وتم تجبيس كل قطعة مـن عظمه .. كانت الورقة فى أسوأ حال لكنه قـام بلصق أجزائها بشريط لاصق شفاف ..

قال لى ضاحكًا :

ـ « عندما اقتحم الطلبة الإيرانيون السفارة الأمريكية فى

إيران لدى تشوب ثورة (الخومينى) ، قام رجال السفارة بفرم كل الوثائق عن طريق آلات فرم الورق .. لكن الطلبة أخرجوا هذا الورق المفروم وقاموا بلصقه بصبر خرافى حتى عرفوا ما كان فيه .. »

- « وماذا كان فيه ؟ »

- « لم يعلن أحد لكنهم قالوا إنها أسرار تشيب لهولها الولدان .. قمت أنا وزوجتى على مدى ثلاثة ليال بمجهود مماثل مع قمامتك .. إن (ماجدا) كانت تلقى بها فى الخلاء ، ولحسن الحظ أنها لم تحرقها مع باقى فضلات وحدة (سافارى) .. لهذا طلبت منها أن تستعيد لى ما يمكن استعادته من هذه الأوراق .. إن هذه المرأة مستعدة لعمل أى شىء من أجل المال ، وهو لعمرى إخلاص حميد .. هى دائمًا مخلصة لمن يدفع لها أكثر كأى مرتزق يحترم نفسه .. وقد دفعت لها بسخاء .. وجدنا أن زوجتك كانت تمزق كراسات مذكراتك وتتخلص منها فى القمامة ثم تقول لك إن رجلاً تسلل وسرقها .. »

هذا غريب .. زوجتى كانت تمزق مذكراتى ؟ ولأى غرض ؟

سألته عن ذلك فقال :

- « من يدرى ؟ هناك أشياء كانت مسرورة لأنك نسيتها ،

وكانت حريصة على ألا تتذكرها ثانية .. كانت المذكرات مكتوبة بالألمانية لهذا احتجت إلى رأى د. (بورجين) .. والآن من واقع ما قرأت هنا يمكن أن أقول إن هناك سرًا مخيفًا يطاردك .. هناك أشخاص يائسون يحاولون أن يستخلصوا هذا السر وهم لا يصدقون أنك لا تعرفه فعلاً .. »

ثم بدت الخطورة على وجهه وأردف :

ـ « بل وصل بهم الأمر إلى درجة أنهم خربوا سيارتك للتخلص منك .. »

قلت له وأنا أثنى رجلى تحتى فى الفراش :

ـ « لا أذكر شيئًا على الإطلاق يا بنى .. أنت تتكلم عن شخص آخر .. »

ثم نظرت إلى ورقة معلقة تقول : WC .. فصحت فى دهشة :

ـ « من علق هذه ؟ لا تقل لى إن WC معناها WC !! »

ابتسم ولم يعلق .. فقط راح يحك لحيته الأنيقة مفكرًا قبل أن يقول :

ـ « لقد قام رجال الشرطة الكاميرونيين بتتبع مسار سيارتك .. كانوا يريدون معرفة أين توقفت بالضبط قبل الحادث .. هل

تعرف ما وجدوه ؟ وجدوا أن هناك فلاحين رأوا سيارة (ستروين) تقف أمام كافتيريا أقرب إلى كوخ .. وكان اسم هذا المكان (عند شيكو) .. صاحب الكافتيريا لا يذكر عنك شيئًا ويقول إن أوروبيين كثيرين يقفون عنده ، وهو ليس مكلفًا بحراسة سياراتهم .. يرى رجال الشرطة إنك دخلت ذلك المكان لتتناول مشروب أو قدح قهوة ، وفى هذه اللحظات الثمينة نزل أحدهم تحت السيارة الواقفة بالخارج ليقطع سلك الفرامل .. هذا منطقى .. لو كان التخريب قد حدث قبل هذا لما كنت قد استطعت بلوغ ذلك الكوخ أصلاً .. »

ثم أردف وهو يخرج قطعة ورق من جيبه :

ـ « لو أخذنا برأى رجال الشرطة ، فأنا لا أرى داعيًا لأن تضع هذه الورقة فى الدرج .. »

ولوح بالورقة تحت أنفى فرأيت عليها بحروف واضحة (عند شيكو) ..

ـ « معنى هذا أنك كنت تعرف (شيكو) .. »

غطيت وجهى .. هذا كثير جدًا .. كل هذه المعلومات وكل هذا الخليط .. من أنا حقًا ؟ وماذا كنت أقوم به ؟

قلت له :

ـ « أيها الشاب .. أنا لا أفهم حرفًا مـن هذا كلـه .. ألا ترى أنك ترهقنى ؟ »

أجاب وهو ينهض :

ـ « بلى أرى ذلك .. لكنى واثق من فو نافيه باز أوبلييـه تو .. إيليا بوكو دو ميموار إفوزا فيه .... »

صحت فى رعب :

ـ « ماذا ؟ ماذا تقول ؟ »

فجأة لم أعد أستوعب حرفًا من تلك اللغة ..

وبدا عليه الانزعاج وأنا أتكلم بالألمانية ..

من هذا الفتـى الملتحـى ومـاذا يفعل هنـا ؟ مددت يـدى الجرس الذى كتب عليه (أطلب ماجدا) لكن الفتى رفع يديه بمعنى ألا داعى لذلك ..

وتراجع للباب بظهره وعلى وجهه نظرة اعتذار ..

سأكتب هذا كله .. يجب ألا أنساه ..

★ ★ ★

الجمعة نوفمبر 29 :

(أطلب ماجدا) .. غريب .. لماذا علقت هذه اللافتة هنا ؟ مددت يدى وانتزعتها .. ثم نهضت إلى الحمام فنزعت الورقة التى تقول (WC) .. هذا تصرف خال من اللياقة ..

فتحت الدرج فوجدت صورة لامرأتين لا أعرفهما .. امرأة شقراء وفتاة مراهقة .. هناك سهمان أحدهما يقول (جرترود) والآخر يقول (مارتا) .. (زوجتك وابنتك) .. لا أذكر إن كانت لى زوجة وابنة أم لا .. لكنى بالتأكيد أعرف أننى (هانز شيفرن) أستاذ المناعة فى وحدة (سافارى) ..

هنالك حادث .. نعم .. حادث بعد ما تركت (شيكو) .. وبعد ما ألقيت قنبلتى على الرجال .. هناك اكتشاف يريدون أن يمنعونى من نشره .. يريدون كل ما دونته عنه .. ضربوا لى هذا الموعد لإقناعى ورشوتى .. لكنى قررت أن أواجههم .. من المؤسف أن أكثر هذا الفريق كانوا من تلاميذى ..

الطبيب الشابُ الملتحى يدخل الحجرة من جديد ومعه رزمة من الصحف .. ومعه طبيب ألمانى شاب .. اسم الأول هو (عبد العظيم) والآخر (يورجين) ..

يضع الصحف على الفراش ثم يتكلم بلغة لا أعرفها علـى حين يتولى الألمانى الترجمة .. يقول :

ـ « معذرة .. توقعت أن هناك من يراقب حجرتك لذا حملت هذه الصحف على سبيل التمويه .. ولو كانت الغرفة ملوثة بأجهزة التنصت دعنى أقل إن .... »

ثم صاح بأعلى صوته ومعه صاح الألمانى :

ـ « إن ما سنقوله الآن معـروف لعشرة أشخاص فـى وحدة (سافارى) الآن ، منهم المدير نفسـه .. فلاداعـى لإضاعة وقتكم بمطاردة أو قتل واحد أو اثنين .. »

سألته عن سبب هذا الصياح فقال عن طريق المترجم :

ـ « الأمر خطر فعلاً .. ومن الوارد جدًا أن تكون الغرفـة مراقبة .. لقد وجدت ذلك الرمز 312JKL789 فى الدرج .. ثم الورقة التى أرسلتها من الوطن وتقول (الحاسب الآلى) .. سمحت لنفسى بافتراض أن هناك برنامجًا مغلقًا بكلمـة سر هى هذه الحروف .. توجهت إلى مختبرك وطلبت أن أرى جهاز الكمبيوتر الخاص بك ، فهل تعرف ماذا كانت النتيجة ؟ لقد سرق الجهاز منذ أيام ! لا أعرف السبب الذى جعلنى أفتـش فى الأجهزة كلها .. هنـاك خمسـة أجهزة فى المختبر ..

سرق واحد منها .. أنت لم تكن قط خبير كمبيوتر بحيث تستعمل طريقة متحذلقة لإخفاء الملفات .. لهذا خطر لى أنك استعملت طريقة الملف المضغوط Zip الذى لا يفتح إلا بكلمة سر .. هكذا رحت أنقب فى أربعة الأجهزة وأنا أعتمد على فرض واهٍ ـ ولتسمح لى ـ هو أنك لست بهذه الحماقة .. لن تخفى ملفًا مهمًا على الحاسب الذى يحمل اسمك .. وجدت عددًا من ملفات Zip كلها غير مشفر او مغلق .. فقط وجدت ملفين مشفرين .. أحدهما لم يستجب والآخر .. حسن .. لقد انفتح .. كنت أنت أذكى مما اعتقد هؤلاء .. »

وابتلع ريقه وهو يخرج من بين الصحف رزمة من الأوراق :

ـ « كان الأمر أشبه بمغارة (على بابا) .. كل الأوراق كتبت بالإنجليزية .. وتتحدث عن كشف مروع يخص شركة (........) .. إن مصل الجلوبيولين المناعى الخاص بها ملوث بفيروس يشبه مناعيًا فيروس الإيدز .. أنت عرفت هذا وبرهنت عليه وحصلت على أسماء المرضى وكل التفاصيل عنهم .. ولابد أن الخبر تسرب إليهم بفضل فريق الباحثين الأوغاد فى مختبرك .. الطابور الخامس .. ولابد أنهم بدءوا يفاوضونك لشراء صمتك .. إن انتشار خبر كهذا

لضربة قاصمة لشركة عابرة للقارات بحجم (......) .. خسارة الأسهم والتعويضات وعشرات الرءوس التنفيذية التى ستطير من فوق الأكتاف .. باختصار : لم يكن هذا واردًا .. »

نظرات له غير مصدق .. لا أعرف حرفًا عن كل هذا الذى يقوله ..

واصل الكلام وهو يجوب الغرفة كأنما هو يستجمع أفكاره :

- « الآن أرى السيناريو كما يلى .. كنت أنت قد بدأت تعانى الداء الذى أصابك .. قمت بتخبئة ملفاتك على الكمبيوتر ، وأعتقد أنك أعددت تقريرًا آخر مشفرًا احتفظت به فى حجرتك .. طلبت إجازة وعدت إلى ألمانيا .. ربما اتصلوا بك هناك أو هذا هو الاحتمال الأرجح .. لم يكن أمر مرضك ملحوظًا من أحد إلى هذا الحد .. كلنا ننسى ونفقد تركيزنا من فرط إرهاق .. لكن لا بد أن زوجتك لاحظت ما يحدث .. لا بد أنها بدأت تتساءل .. أنت أيضًا بدأت تخشى النسيان .. أنت طبيب بارع ولا أشك لحظة فى أنك شخصت حالتك .. كنت تريد أن تحتفظ بقدراتك العقلية أطول ما يمكن إلى أن تنشر البحث .. لكنك - على سبيل الاحتياط - اكتفيت بإرسال هذه الصور والقصاصة من هناك .. فلو سقطت فى يد أحدهم هنا لا يمكن أن يستخلص منها شيئًا ذا قيمة ..

ـ « الآن عدت إلى (الكاميرون) .. لقد تدهورت قدراتك العقلية أكثر لكنك تقاوم ، ولا بد أن أحدًا لم يلحظ غرابة فى سلوكك بعد .. يحدد لك رجال الشركة موعدًا لإنهاء الصفقة (عند شيكو) .. هكذا تذهب للقائهم غير عالم أنهم أعدوا العدة للتخلص منك سواء سلمتهم الملف أو لم تفعل .. بعد هذا تتركهم وتنطلق بسيارتك .. آخ .. الفرامل لاتعمل .. الحادث .. لكنك تظل حيًا بمعجزة .. والآن بدأ المخ يخضع لزحف داء (ألزايمر) بعد كل ما مر به من معاناة .. لكنهم لا يعرفون ولا يصدقون .. ما دمت حيًا فأنت خطر داهم .. بينما أنت ـ بلا أية مبالغة لفظية ـ لاتعرف الآن حرفًا عن الموضوع .. »

انتهى من كلامه فابتلع ريقه وقد أرهقته هذه الخطبة الطويلة ..

قلت له وأنا أقلب الأوراق التى لا أعرف عنها حرفًا :

ـ « وماذا تريد منى ؟ »

قال وهو ينتزع الأوراق من يدى ليضعها فى مظروف :

ـ « حاليًا لاشىء .. سوف يتأكد بروفسور (بارتلبيه) من أن هذه الملفات قد وصلت إلى الصحافة .. بعدها لن يعود خطر على حياتك .. حينما يعرف الجميع لن يبقى داع لتهديدك .. »

★ ★ ★

الأحد ديسمبر ! :

أبتلع الأقراص ثم تنصرف الممرضـة الآسيوية ذات الضحكة الفاتنة ..

أنا (هانز شيفرن) أستاذ علم المناعة .. وسأظل كذلك .. هذه وحدة (سافارى) فى (الكاميرون) .. أنا أعرف هذا ..

ثمة ذكرى تتلاعب من آن لآخر فى ذهنى ..

(كلينزمان) يطفىء سيجاره ويسوى الروب الذى يرتديه ويقول لى :

- « أنت تسىء فهم الأمور .. الحياة ليست بهذه البساطة .. »

أقول له :

- « وماذا تتوقع منى أن أفهمه ؟ »

يقول لى :

- « ربما أساءت هى التعبير .. »

كان هناك ما يحملنى للشك فى (جرترود) .. إنها تصغرنى بعدة أعوام وأنا بعيد هنا فى الكاميرون وهى فى ألمانيا .. لقد بدأت تميل إليه .. (مارتا) قالت لى شيئًا كهذا .. كنت أقرر فى كل يوم أن أتخذ قرارًا صعبًا ثم أنسى الأمر برمته وينقضى يوم آخر وأعاود تذكير نفسى بكل شىء ..

هذه الذاكرة اللعينة .. هذه الذاكرة اللعينة سريعة البخر ..

وحينما صارحت (جرترود) بالأمر حاولت أن تتكر بعض الوقت ، ثم جاءت اللحظة القاسية .. اللحظة التى تتكشف فيها الأقنعة وتعرف كم كنت أحمق ..

قالت لى :

ـ « نعم .. انا و(كلينزمان) متحابان .. هذا رجل يعرف كيف يخص امرأة باهتمامه .. هذا رجل يعرف كيف يجعل امرأته تشعر بأنها ملكة .. بينما أنت هناك فى تلك الوحدة تقضى وقتك وسط الأمصال والجلوبيولينات المناعية .. هل تذكر أى شىء عنا ؟ هل تهتم بنا حقًا ؟ لا أظن .. والآن أقولها بوضوح وبما إننا زوجان متحضران .. كم من الوقت يلزم كى نسوى موضوع الطلاق ؟ »

هنا ثارت ثائرتى ..

هذه المرأة تحسب أنها ستنجو بفعلتها ..

لا .. فليصطدم المحاميان معًا ، ولتنفجر البراكين ويتناثر البرق فى كل صوب .. لن تنال مليمًا من ذلك العالم الجميل الذى بنيته قطعة قطعة .. البيت الفاخر .. حمام السباحة .. رصيد المصرف .. كل هذا ..

قلت لها إننى لن أقبل لحظة .. وأن عليها أن تحاول الظفر بشىء من المحكمة لكنى لا أنصحها بذلك ..

فقط أخشى شيئاً واحدًا .. تلك الذاكرة اللعينة .. لو تخليت عنى لانتهى كل شىء .. سوف أعود إلى الكاميرون وأتلقى خطاباتها فى حب وأرد عليها فى رقة ..

أمسكت بصورتها وكتبت عليها (قذرة) وقررت أن أرسلها لنفسى فى الكاميرون لأتذكر طيلة الوقت ما حدث منها ..

لقد انتهت إجازتى وعلى أن أعود ..

لم تكن إجازة موفقة جدًا .. لم تكن ممتعة جدًا .. ما زال موضوع الطلاق معلقًا فهى تخشى بلاشك ألا تنال منى مليمًا .. ومالى هو أحب الأشياء طرًا لها ..

لا أعرف ما حدث بعد ذلك ..

لا بد أن الحادث وفقدان الذاكرة قد جعلاها ترى المستقبل على ضوء جديد .. أنا لم أعطها غفرانًا لكنها حصلت عليه على كل حال .. قررت أن تترك حياتها كلها وتلحق بزوجها الحبيب فى (سافارى) .. زوجها الحبيب الذى فقد ذاكرته .. والذى نسى كل شىء عن (كلينزمان) .. ترى هل تخلى عنها (كلينزمان) هذا؟ لا أستبعد ذلك ..

سيعود زوجها لها بكل ثروته ولسوف تمحى أخطاؤها السابقة ..

هنا بدأت ترى الأمور على ضوء جديد .. لم لا تستعيد حريتها ثانية ؟ إننى لا أذكر شيئاً عن الحادث وما قبله .. إننى لا أحمل ضدها ضغينة ما ، لكننى مريض جداً .. هذه المرة يمكنها الحصول على الطلاق بشروط مشرفة ..

لن يقف المحامى ليدافع عن حق زوجة خائنة فى اقتسام ثروة زوجها ، بل سيقف ليدافع عن زوجة لم تعد تتحمل ما أصاب زوجها .. الزوج الذى إن لم يكتب WC على الحمام فلن يصل إليه فى الوقت المناسب أبداً ..

هكذا تنال ما أرادت .. إنه النصر ..

وشعرت بألم فى يدى فنظرت لأجد أننى غرست أظافرى فى لحم الكف ..

ولكن .. لماذا فعلت ذلك ؟ لقد جالت خاطرة أليمة فى ذهنى ثم تبخرت فما هو السبب ؟

نسيت .. للأسف إن تلك الومضات تظهر ثم تخبو .. تخبو ثم تظهر .. لا أعرف ..

ونظرت لوجهى فى المرآة وقلت لنفسى : أنت لن تشفى أبداً ..

★ ★ ★

الثلاثاء ديسمبر 3 :

يدخلون غرفتى .. الهم باد على الوجوه ..

أعرفهم لكنى لا أتذكر الأسماء كلها .. هذا الرجل البدين .. إنه المدير هنا على ما أذكر .. وهذا الشرير هو معاونـه بالتـأكيد .. الشاب الملتحى هو (عبد العظيم) عربى الملامح .. الطبيب الألمانى يدعى (يورجين) .. هذا سهل .. طبيب أسود يبـدو أنه من يعالجنى من الأمراض العصبية ..

يتكلم المدير بتلك اللغة لكنى أفهمها . فعلاً أفهمها ..

يقول بصوته الغليظ :

ـ « أعتقد أنك تتحسن يا دكتور (شيفرن) .. كل المؤشرات تشير إلى أن الدواء يؤدى عمـلاً لا بـأس بـه .. صحيح أن ذاكرتك تتأرجح .. لكننا نعرف أن احتمـالات استعادتك لقدراتك سيكون أعلى فى أوروبا .. »

ويحاول الطبيب الألمانى الترجمة لكننى أرفع يدى لأوقفه وأقول :

ـ « لا داعى .. الكلام مفهوم .. »

هنا يقول الطبيب الذى يبدو عليه الشر :

ـ « بعبارة أخرى .. نحن غير مؤهلين هنا فى (سافارى) لعلاج داء مثل (ألزايمر) يحتاج إلى فريق متكامل من الأطباء النفسيين والعصبيين وأطباء الشيخوخة .. »

قلت ضاحكًا وأنا أسترخى فى الفراش :

ـ « هذا لا يستدعى قدومكم الدرامى هنا .. يذكرنى هذا المشهد باستدعاء المحكوم عليهم بالإعدام .. أين واعظ السجن إذن ؟ »

لم يضحك أحدهم ..

فقط قال المدير وهو يناولنى مظروفًا مفتوحًا :

ـ « كنا قد اتفقنا ضمنيًا على أنك غير مؤهل لتسلُّم بريدك .. لا أعرف قانونية هذا الوضع لكننا مرغمون على حمايتك .. وقد فتحت هذه الرسالة القادمة من ألمانيا اليوم .. »

وناولنى المظروف .. كان يحوى مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملونة .. وفى الصور كانت هناك جثة امرأة شقراء تم قتلها بطريقة شنيعة ، كأنما الصور مأخوذة من أحد مراجع علم الطب الشرعى .. لقطة واحدة كانت تظهر الوجه .. وقد عرفته على الفور ..

صحت فى هلع :

- « (جرترود) !!! »

وعلى كل صورة كتب أحدهم بقلم فلوماستر ثخين :

- « كنا قد أنذرناك .. »

قال المدير فى كياسة :

- « أجرينا اتصالاتنا وتبين لنا أن الأمر حق لا شك فيه .. هناك مجهولون اقتحموا بيتك وقتلوا الزوجة .. لم يسرق شىء مما يوحى بأن دافع الجريمة هو الانتقام .. بالطبع تحقق الشرطة فى الموضوع لكنها لم تصل لشىء بعد .. »

هنا تذكرت فى هلع فصحت :

- « و (مارتا) !! ابنتى (مارتا) !!! »

قال المدير بسرعة :

- « هى بخير وتحت مراقبة الشرطة .. يعتقدون أنها الخطوة التالية للضغط عليك .. لقد أرادوا - القتلة - إبلاغك رسالة وقد وصلت .. ومن الواضح أنهم أكثر غباء مما تصورنا .. هم لا يعرفون أنك نسيت كل شىء عن الموضوع ..

لا يعرفون أننا نعرف ما تعرفه .. ولا يعرفون أن زوجتك كانت تسعى فى إجراءات الطلاق .. »

هنا تدخل الطبيب الشاب الملتحى وقال :

ـ « إن خلاصة بحثك ستنشر صباح غد فى عدة صحف .. سوف تكون فضيحة مدوية .. لكن هذا هو الضمان الوحيد لسلامتك وسلامة ابنتك .. »

كنت أنا شارد الذهن ..

(جرترود) .. عزيزتى (جرترود) ..

لسبب ما كنت أشعر أننى أمقتها فيما سبق لكنى نسيته الآن .. لم أعد أذكر إلا حبى القديم .. نعم .. فى يوم ما كنت عاشقًا ..

سمعت ذلك الشاب يتكلم . صوته آت من بعيد يقول :

ـ « لكنى لم أفهم بعد لم كنت تطلق عليها هذا اللقب .. إن هذه الأمور .... »

ثم لم أعد أدرى ما يقال ..

أنا مرهق .. مرهق ..

* * *

الأربعاء ديسمبر 4 :

سأحاول هنا أن أكون نظيفًا .. لا . لا لا لا لا لا لا لا لا إن التعبير يخونني . سأحاول . هنا أن أكون واضحًا . لقد انتهت هذه الحدوتة .. بل أقصد لقد انتهت هذه المأساة لكن مأساتي أنا لم تنته بعد ، لقد بدأت دراجتي ، آسف ، أردت القول إنني بدأت معاناتي مع المرض ، أنا أعرف مرض (فالتايمر) لا أذكرِ التفاصيل لكن أنا أعرف مرض (فالتايمر) . هناك عنكبوت في غرفتي ، هناك عنكبوت في غرفتي ، هناك عنكبوت في سقف حلقي ..

لا أعرف لِمَ صار اختيار الكلمات عسيرا إلى هذه الدرجة لكني سأتقهقر على هذا . لا بل سأتغلب على هذا . أنا أعطي الدواء بل أتعاطى الدواء ، والعنكبوت ينظر لي من أعلى يحاول أن يلتهمني لكني لن أفتح الباب .

يطلب مني أن افتح لكن لن ...... أفتح الباب . إنه ينفخ وينفخ وينفخ مثل الذئب في قصة (هاملت) . (هاملت) فيها ذئب ؟ لم أعد أذكر .

هم كلهم هنا وهم يطلبون مني أن أستعد لأننا مسافرون بالطائرة . أنا مسرور بالعودة بالطائرة لأني أحب الطائرة . (جرترود) بانتظاري هناك وسوف تخبرني لماذا ينظر لي العنكبوت الذي ينفخ وينفخ .

هناك أشياء يجب أن تعرفوها وهو أن الخنازير الثلاثة لم تفتح الباب حينما جاء (هـاملت) يطلـب منهـا العـون . و(لـورالاى) أم الشـعور تجلـس هنـاك تمنـع (هـانز) و(جريتل) مـن المـرور لكنها لا تستطيع منع العنـاكب .. رباه .. لا تستطيع منع العناكب .. لا تستطيع منع العناكب .. لا تسـتطيع منـع العنـاكب .. لا تسـتطيع منـع العنـاكب .. لا تستطيع منع العناكب ..



(خط مختلف .. لغة عربية)

الخميس ديسمبر 5 :

انتهت مذكرات د. (شيفرن) عند هذا الحد ، فاسمحوا لى بأن أكتب هذا اليوم الأخير ..

فى الواقع كان التدهور مذهلاً فى الفترة الأخيرة حتى إن د . (جابرييل) بدأ يتساءل لماذا أجلنا سفر الرجل إلى ألمانيا كل هذا الوقت .. أعتقد أن تلك المجموعة من الصدمات العصبية والنفسية قد أدت إلى تدهور الحالة ، دعك من تلك الخاصية العجيبة لداء (ألزايمر) : إنه يقرر أن يكون طفلاً مطيعًا يستجيب للعلاج فى يوم ، وفى يوم آخر يقرر أن يتمرد على كل شىء .

بالنسبة لزوجته أنا آسف .. لا أريد أن أكون قاسيًا لكنها تلقت نوعًا خاصًا جدًا من العدالة الشعرية .. ولو عوقبت ابنته بالقتل لبدا لى ذلك مأساويًا بحق ، أما الزوجة فقد دفعت ثمن كونها زوجته بينما هى تفعل كل شىء ممكن كى لا تكون كذلك !

إنها لم ترد أن تكون زوجته ، ولم ترد أن تكون فقيرة

كذلك ! لا أريدك لكنى أريد مالك .. وهى معادلة من العسير قبولها إلا فى عالم براجماتى عملى مثل الغرب ..

أما عن ذلك الملف الفضيحة ، فقد قرأه (بارتلبيه) وانبهر به .. حتى لحظاته الأخيرة كان (شيفرن) دقيقًا بارعًا وكان عمله خاليًا من الأخطاء ، مبرهنًا بحق عن أنه حفيد (كوخ) العظيم .. لهذا عندما وجدت الأنباء طريقها إلى الإعلام بدأ التفاعل المتسلسل الذى كانوا يخشونه .. سوف تنهار سمعة الشركة .. لو كان حظنا أفضل فلسوف تفلس .. أتأمل الصورة التى كتب عليها (لا تثق بواحد منهم) وأفكر .. ماذا لو تصور أن انعدام الثقة قد وصل لهذا الحد ؟ إن تعبير (مافيا الدواء) دقيق ومعبر فعلاً .. وإننى لأنحنى للعبقرى الذى اصطكه للمرة الأولى ..

إن (شيفرن) فى ألمانيا الآن .. يقولون إن حالته سيئة لكنهم سيحاولون أن ينقذوه .. يقولون إن الأمل موجود وإن سياستهم فى العلاج تبطئ تقدم المرض ، أو ـ على أقل تقدير ـ تجعل المريض فى أمان وتحفظ كرامته ..

لسبب ما اختارت تلك الضفائر الليفية العصبية أن تزرع نفسها فى واحد من أعظم العقول فى أوروبا .. وهو ما يدعو

للحسرة .. كل العلم فى هذا الرأس يتلاشــى .. لكن هنـاك علمـاء آخرين يسـعون جادين إلى كشف أسرار هذا الداء الوبيـل .. يومًا ما سيصلون إلى الحقيقة .. يومًا ما سيجدون العلاج ..

تمنيت لو كنت معهم .. لو عرفت ما توصلوا إليه .. لكـن هذا للأسف ليس فى نطاق عملنا هنا فى (سافارى) .

د . علاء عبد العظيم

أنجاوانديرى

روايات مصرية للجيب

سافاري

مغامرات طبيب شاب يجاهد لكي يظل حيا ولكي يظل طبيبا

الحادث

إنها القصة التقليدية .. هناك حادث .. أنت لا تذكر شيئًا قبل ولا بعد ولا أثناء الحادث .. ثم تتضح الأحداث ببطء شديد.

سوف تتمنى أن يكون ما أصابك ارتجاجًا فى المخ .. نزفًا .. أى شىء فيما عدا أن يكون ذلك الداء الرهيب قد اختارك أنت دون سواك ...



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم

لماذا جُنَّت الأبقار؟

الثمن فى مصر ٢٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت ٥٩٠٨٤٥٤ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٦٨٢٧٠٠٢